أغاريد الابتهال نصوص قطعية الدلالة والثبوت في الشعر المصري الحديث عز الدين علي السيد نموذجًا (الجوهر والعرض)

د. عبد الفتاح أحمد عيد[١] د. غادة عيد نصر الله[٢]
drabdalftah55555@gmail.com

ملخص

الابتهال أحد ركائز الأدب الإسلامي، ويطلق على طائفة من النصوص الشعرية والنثرية التي تنطلق من التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، وهذه النصوص توجد عند بعض الشعراء حسب توجه كل شاعر ومعتقده في حياته.

وقليلٌ هم الذين لم تخرج أشعارهم عن روح الإسلام عقيدة وسلوكًا، قرآنًا وسنةً، وفي الوقت نفسه حوت من القيم الفنية ما يشهد لهم بالتفوق والإبداع.

وكان اختيار شعر عز الدين على السيد موضوعًا لهذا البحث لعدة أسباب، منها: غزارة نتاجه الشعري، وتوفر القيم الفنية في شعره، ومنها: بروز الإسلام في شعره كموضوع رئيس بصورة لافتة للنظر، كما أن شعره لم ينل من الدراسة ما أتيح لمن هم أقل منه منزلة، ومنها: انفعال الباحث بشعره، وإعجابه بتوجهه، وتقديره للدور الذي يمكن أن يضطلع به، وخصوصًا في المرحلة الراهنة من تاريخ الأمة.

أما اختيار الابتهال فلأنه أعم وأشمل وصدى للصوفية وهي إحدى تجليات الاتجاه الروحاني الذي هو من أهم ركائز التيار الإسلامي أو الأدب الإسلامي.

وقد حاول البحث الإلمام بمفهوم الابتهال وطبيعته وعلاقته بمصطلح الأدب الإسلامي ومجالات الابتهال في شعره وسماته، كما أشار إلى كيفية تعبير الأديب عن أفكاره من خلال أغاريد الابتهال، كما أكد البحث على احتواء الابتهالات من القيم الفنية ما يشهد له بالتفوق والإبداع.

[١] قسم اللغة العربية – كلية الاداب – جامعة العريش
[٢] قسم اللغة العربية – كلية الاداب – جامعة العريش

ومن ثم وقع البحث – بعد هذه المقدمة – في تمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

التمهيد، وكان عن مفهوم الابتهال، ومصطلح الأدب الإسلامي، ووظيفة الأدب، والأخلاق، وحرية الأديب.

المبحث الأول: مجالات الابتهال في شعره.

المبحث الثاني: الخصائص والسمات الفنية.

الخاتمة: أوردت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وقد اصطنعت فيه منهجًا تحليليًا؛ في نظرته إلى النصوص الشعرية في ضوء التصور الإسلامي لما اشتملت عليه من معان وأفكار، وفي محاولته سبر أغوار النصوص، واستكناه أسرارها، واستنباط خصائصها الموضوعية والفنية؛ أي أنه يفيد من قيم الإسلام، وجمال الفن في آن.

المقدمة

يعد الابتهال أحد ركائز الأدب الإسلامي، ويطلق على طائفة من النصوص الشعرية والنثرية التي تنطلق من التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، وهذه النصوص توجد عند بعض الشعراء حسب توجه كل شاعر ومعتقده في حياته.

فهناك شعراء يوجد في إبداع كل منهم ما يمكن أن ننسبه إلى الأدب الإسلامي أو الاتجاه الملتزم، ويوجد إلى جانبه – أيضًا – ما لا يمكن نسبته إلى هذا النوع من الأدب بأيّة حال من الأحوال، كما أننا لا نعدم شعرًا إسلاميًا في شعر بعض من عرف بالغزل الحسي؛ كأبي نواس في العصر العباسي، ونزار قباني في عصرنا وغيرهما.

وكان اختيار شعر عز الدين على السيد موضوعًا لهذا البحث لعدة أسباب، منها: غزارة نتاجه الشعري، فله ديوان شعري كبير، يشتمل على نحو ثلاث وتسعين ومئة قصيدة، ومقطوعة واحدة، وجله من الشعر المنظوم على الشكل المتوارث للقصيدة العربية[١]، ومنها: توفر القيم الفنية في شعره، ومنها: بروز الإسلام في شعره كموضوع رئيس بصورة لافتة للنظر، ومنها: أنه– على الرغم مما تقدم – لم ينل شعره من الدراسة سوى رسالة ماجستير، كتبت عن أدبه كله؛ أي أنها لم تفرد شعره بالدراسة، ولم تتناول الموضوع الذي نحن بصدده على النحو الذي يتناوله هذا البحث، سواء في الفكرة أو في منهج التناول[٢]، ومنها: انفعال الباحث بشعره، وإعجابه بتوجهه، وتقديره للدور الذي يمكن أن يضطلع به، وخصوصًا في المرحلة الراهنة من تاريخ الأمة.

والابتهال فهو أعم وأشمل من غيره من النزعات لأنه صدى للصوفية وهي إحدى تجليات الاتجاه الروحاني الذي هو من أهم ركائز التيار الإسلامي أو الأدب الإسلامي.

أما التساؤلات التي يمكن أن يطرحها هذا البحث، فمنها ما مفهوم الابتهال؟ وما طبيعته؟ وما علاقته بمصطلح الأدب الإسلامي؟ ومنها: ما مجالات الابتهال في شعره؟ وما سماته؟ ومنها: كيف عبر عن أفكاره من خلال أغاريد الابتهال؟ وهل أعطى الفن حقه في شعره؟، وهل حوت ابتهالاته من القيم الفنية، ما يشهد له بالتفوق والإبداع؟، وسوف يحاول البحث الإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها.

وقع البحث – بعد هذه المقدمة – في تمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

التمهيد، وكان عن مفهوم الابتهال، ومصطلح الأدب الإسلامي، ووظيفة الأدب، والأخلاق، وحرية الأديب.

المبحث الأول: مجالات الابتهال في شعره.

المبحث الثاني: الخصائص والسمات الفنية.

الخاتمة: أوردت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وقد اصطنعت فيه منهجًا تحليليًا؛ في نظرته إلى النصوص الشعرية في ضوء التصور الإسلامي لما اشتملت عليه من معان وأفكار، وفي محاولته سبر أغوار النصوص، واستكناه أسرارها، واستنباط خصائصها الموضوعية والفنية؛ أي أنه يفيد من قيم الإسلام، وجمال الفن في آن.

وأسأل الله أن يجنبنا الزلل، ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد: مفهوم الأغرودة ومضمون الابتهال

بالرجوع إلى لسان العرب لاستظهار ما ورد في مادة (غرد) وجدنا أن: غرد: الغَرَدُ، بالتحريك: التَّطريب في الصوت والغِناء. والتَّغَرُّد والتَّغْريد: صوت معه بَحَحٌ.

قال الليث: كُلُّ صَائِتٍ في الصَّوت غَرِدٌ، غَرَّدَ يُغَرِّدُ تَغْرِيدًا. قال الأصمعي: التَّغْرِيدُ الصَّوتُ. وغَرِد الطائر، فهو غَرِدٌ، والتَّغريد مثله؛ قال سُوَيْدُ بن كُرَاعٍ العُكْلِيُّ:

إذا عَرَضَتْ داوِيَّةٌ مُدْلَهِمَّةٌ وغَرَّدَ حَادِيهَا فَرَيْنَ بها فَلْقا

وغرَّد الإنسان: رَفَّعَ صوتَه وطَرَّبَ. وكذلك الحمامة والمُكَّاء والديك. وحَكَى الهِجْرِيُّ: سَمِعْت قُمْرِيًا فأغْرَدَني أي أطْرَبَني بِتَغْرِيدِه وقيل: كل مُصَوِّتٍ مُطَرِّبٍ بصَوْتِه مُغَرِّدٌ وغَرِيدٌ وغَرِدٌ وغِرْدٌ.(٣)

وفي المعجم الوسيط: (غرد) الطائر والإنسان غردًا رفع صوته بالغناء وطرب به فهو غرد وغريد (للمبالغة). (الأغرودة) غناء الطائر أو الإنسان، والجمع أغاريد، يقال طائر أو مغن مستملح الأغاريد.(٤)

ولاستظهار معنى الابتهال رجعنا إلى مادة (بهل) في لسان العرب فوجدنا أن: بهل: التَبَهُّل: العناء بالطَّلب. والابتهال أن تمد يَدَيْكَ جميعًا، وأصله التَضَرُّع والمبالغة في السؤال. وابتهل في الدعاء إذا اجتهد. ومُبْتَهِلًا أي مجتهدًا في الدعاء. والابتهال: التضرع. والابتهال: الاجتهاد في الدعاء وإخلاصه لله عز وجل. وفي التنزيل العزيز: (ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)؛ أي يُخْلِصْ ويجتهد كلٌّ منا في الدعاء. قال أبو بكر: قال قومٌ: المُبْتَهِل معناه في كلام العرب الْمُسَبِّح، والذاكر لله، واحتجوا بقول نَابِغَةُ شَيْبَانَ:

أَقْطَعُ اللَّيل آهةً وانْتِحابًا وابْتِهَالًا لله أيَّ ابتهال

وقال قومٌ المبتهل الداعي.(٥)

وعندما تمتاز الأغرودة بأنها نص ابتهالي، والابتهال بهذه المعاني–التضرع والاجتهاد في الدعاء، وإخلاصه لله عز وجل– تصبح أغرودة الابتهال من أسس الأدب الإسلامي، وركائز التوجه الديني؛ التوجه المنتسب إلى "الإسلام" دين البشرية الخالد، من الاستسلام والخضوع إلى الله عز وجل، وطاعة أوامره، واجتناب نواهيه، كما دعا رسوله صلى الله عليه وسلم.

وكان "محمد قطب" – فيما أعلم – أول من عرف "الأدب الإسلامي"، وإن كان "أبو الحسن الندوي"، و "سيد قطب" سبقاه في الحديث عنه، والدعوة إليه.

عرَّف " محمد قطب" الأدب الإسلامي بقوله: "هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان"(٦).

ويعد هذا التعريف ركيزة لما تلاه من تعريفات، فالدكتور "عبدالرحمن الباشا"عرفه بقوله "هو التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب؛ تعبيرًا ينبع من التصور الإسلامي للخالق – عز وجل– ومخلوقاته"(٧)، وهو عند الدكتور عماد الدين خليل "تعبير جمالي مؤثر بالكلمة عن التصور الإسلامي للوجود"(٨)، وهو عند الشاعر محمد المجذوب: "الفن المصور للشخصية الإنسانية من خلال الكلمة المؤثرة"(٩)، أما الدكتور عدنان النحوي فأبرز عمق البعد الإنساني في الأدب الإسلامي في تعريفه له، إذ قال: " الأدب الإسلامي هو ومضة التفاعل بين الفكر والعاطفة في فطرة الإنسان مع حادثة أو أحداث حين تدفع الموهبة الأدبية هذه الومضة موضوعًا فنيًا ينطلق على أسلوب التعبير باللغة، ممتدًا في أغوار النفس الإنسانية، والحياة والكون، والدنيا والآخرة مع عناصره الفنية التي يهب كل منها الأسلوب قدرًا من الجمال الفني؛ ليشارك الأدب الأمة في تحقيق أهدافها الإيمانية الثابتة والمرحلية، وليسهم في عمارة الأرض، وبناء حضارة إيمانية ظاهرة، وحياة إنسانية نظيفة، وهو يخضع في ذلك كله لمنهاج الله الحق المتكامل (قرآنًا وسنةً)(١٠).

ولم يخرج الدكتور محمد حسن بريغش في تعريفه للأدب الإسلامي عما يراه د. عدنان النحوي(١١).

وقريب من هذه التعريفات ما أورده د. الكيلاني في مدخله إلى الأدب الإسلامي(١٢).

ومهما يكن فإن التعريفات السابقة وغيرها تؤكد وجوب انطلاق نصوص الابتهال من قاعدة راسخة من التصور الإسلامي الصافي للكون والحياة والإنسان، صادرة عن أديب مسلم.

والابتهال صادر من رؤية إسلامية للكون والحياة لشاعر ملتزم بمبادئ الإسلام وقيمه، والشاعر الملتزم هو الذي انبثق شعره من خلال تصورات الإسلام الكلية، ومن نظرته العامة للأشياء والموجودات، بحيث يكون ذلك المنهج ديدنًا له، وسمة لأشعاره، فلا تتعدد مذاهبه، ولا تتناقض قصائده، وإنما تضبطه عقيدته، ويحكمه دينه، فلا ينظر إلى الوجود إلا من خلاله، ولا يزن الأمور إلا بميزانه، فعندئذ تصدر نصوصه موافقة للحق، نافعة للخلق، سائرة على هدي قويم(١٣).

والإبداع الناتج عن هذا التصور والمستمد من مفاهيمه، يتسم بوضوح الفكرة وسموها وعمقها؛ لأنه يستمد من منهج رباني وهو فن الحياة كلها؛ لأنه يصدر عن تصور شامل للحياة بأسرها، وهو أدب الإنسان، لأنه ينظر للإنسان نظرة تكريم واهتمام، وهو إبداع واقعي، لكنه يرتفع عن الواقع بوصفه حقيقة البشرية، ويشد الإنسان إلى حياة الفضيلة، وأدب أصيل؛ لأنه يستمد مقوماته من التصور الشامل، والتراث الصحيح النقي المتميز للفرد المسلم، وأدب ملتزم؛ حتى في تصوير الشرور؛ لأنه يسمو بقيم الإنسان وأخلاقه، ولا يتعارض مع المنهج الرباني.

والآن يجدر بنا قبل الحديث عن موضوع البحث أن نتعرف على شاعرنا، ونشير إلى أهم معالم حياته في وجازة؛ لنتبين أهم عوامل تكوين الاتجاه الديني الإسلامي عنده.

الشاعر وديوانه:

ولد عز الدين على السيد في الحادي عشر من الشهر الثامن عام (١٩١٥م) في قرية "سنتريس" إحدى قرى مركز أشمون بمحافظة المنوفية.

حفظ القرآن الكريم بمكتب تحفيظ القرآن بالقرية، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم التحق بالمدرسة الأولية لكنه لم يمكث بها كثيرًا، حيث انقطع عن العلم لمدة ست سنوات، ثم التحق بمعهد "دمياط" الديني ، وتنقل بين عدة معاهد حتى التحق بكلية اللغة العربية في القاهرة عام (١٩٤٢م)، وحصل على الإجازة العالية "الليسانس" في كلية اللغة العربية في القاهرة عام (١٩٤٦م)، وعمل مدرسًا بالمعاهد الأزهرية، وأثناء عمله بالأزهر سافر إلى الكويت ثم السعودية ثم الجزائر، وحصل على الدكتورة أثناء عمله بالجزائر.

وبعد عودته عين مدرسًا بكلية البنات بجامعة الأزهر، وبعد أربع سنوات سافر إلى السعودية؛ ليعمل أستاذًا مساعدًا بجامعة الإمام بالرياض لمدة ستة أعوام؛ عاد بعدها ليترأس قسم البلاغة في كلية البنات، ثم سافر إلى السعودية مرة أخرى ليعمل بها أستاذًا ورئيسًا لقسم البلاغة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتوفي بها، وقُبِرَ بالبقيع (١٩٨٤م) رحمه الله رحمة واسعة(١٤).

ويبدو أن نشأته الدينية العلمية، وحفظة القرآن الكريم، ودراسته بالأزهر، وعمله بالتدريس؛ كان له أثر كبير في تكوين توجهاته الدينية الإسلامية.

أما ديوانه فيقع في خمسمائة صفحة من القطع المتوسط، وقد قسمه أربعة أقسام، الأول: "دوحة النور"، ويضم ثماني وأربعين قصيدة، والثاني: "سيرة للخلود"، ويضم خمسًا وعشرين قصيدة، منها ثلاث عشرة عن سيرة الحبيب محمد

–صلى الله عليه وسلم–، واثنتي عشرة عن الصحابة –رضوان الله عليهم أجمعين–، عنون لها بقوله: "خالدون أيها الصحابة"، والثالث: "سبائك الشجن"، ويضم ستين قصيدة ومقطوعة واحدة، منها ثلاثون قصيدة، عنون لها بقوله: "كلمات على الأثير"، ويبدو أنه أذاعها في برنامج إذاعي، والرابع:" بعدها يأفل القمر " ويضم ستين قصيدة أيضًا – أي أن الديوان يشتمل على ثلاث وتسعين ومئة قصيدة، ومقطوعة واحدة(١٥).

مضامين الابتهال في شعره:

المجال الأول: التجلي:

المدقق وغير المدقق في ديوان الشاعر الملتزم يلحظ بل يرى ويعتقد أن أديبنا وصل إلى حالة (مرحلة) عليا من مراحل التعبد لا يصل إليها إلا من فقه مبادئ دينه، وفطن لقيمه، وأتقن ضوابطه، وتعمق في أسراره، وخبر كنهها، وتمسك بكل دقائقه، والتزم بالسير على نهجه في كل مناحي الحياة، وهذه الحالة (المرحلة) يسميها الصوفيون حالة التجلي، وبالرجوع إلى لسان العرب لاستظهار ما ورد في ماد (جلي) وجدنا أن تَجَلَّى الشيء أي تكشَّف. وفي حديث كعب بن مالك: جلا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– للناس أمرَهم ليتَأَهبوا، أي كشف وأوضح. وقال الزَّجاج: (تجلى ربه للجبل) أي ظهر وبان، قال وهذا قول أهل السنة والجماعة، وقال الحسن: تجلَّى بدا للجبل نور العرش. واجتلى الشيء: نظر إليه. قال ابن حمزة: التَّجَلِّي في الصَّقْرِ أن يُغْمِضَ عَيْنَهُ ثم يفتحها ليكون أبصر له، فالتجلي هو النظر؛ وأنشد لِرُؤْبَةَ:

جَلَّى بصيرُ العَيْنِ لم يُكَلِّلِ فانْقَضَّ يَهْوي من بعيد المَخْتَلِ(١٦)

وفي القاموس المحيط: جلا فلانًا الأمرَ: كَشَفَه عنه، وتَجلَّى كذا: عَلاهُ(١٧).

وفي تاج العروس: تجلَّى الشيء: نَظَرَ إليه(١٨).

الشاعر (عز الدين) نشأ في بيت صوفي، ودرس في مؤسسة دينية من الطراز الأول، وتدرج فيها، وتخرج منها، وعمل بها، فلا غرابة أن يتعانق بهذه المرحلة العليا من الاعتقاد.

وإبداع هذه المرحلة له قيمة كبرى هي انتماؤه لفكرة ربانية، كما أنه يربط الكون والحياة والإنسان بالخالق عز وجل، ويتتبع مجالي الجمال وآيات الحسن في الكون، ويرسم الحياة من خلال العقيدة وأثرها في النفوس ويرعى القيم الربانية لأنها الضمان في استقرارا الحياة البشرية وتوازنها.

وأول مجالات التجلي: الخالق الأعظم؛ فقد كان كثير الذكر لله جل جلاله في شعره، حتى لا تكاد تمر قصيدة من قصائده، دون ذكر له سبحانه، فضلًا عن عدة قصائد اختصت بالحديث عنه تبارك وتعالى.

وقد تضمن شعره في الخالق عز وجل: محبته جل جلاله، وتعظيمه، والإقرار بوحدانيته، وقدرته، وسائر صفاته، والتوسل إليه، والتوكل عليه، والاعتراف بالعجز الإنساني، والرضا بالقضاء والقدر، والنظر في مخلوقات الله عز وجل التي تشهد بقدرته.

ويستطيع القارئ أن يدرك هذه المضامين في ابتهاله:

غنيت حبك ألحانًا على وتري أحدو بها الروح في حلِّي وفي سفري
فإن سهوت فذكرني أَعُدْ ثملًا أشدو بمجدك وأجل الران عن بصري
فلا أرى في الورى إلا سناك سرى في كل حسن من الآيات والبشر
بدائع الخلق سفرٌ أنت مبدعه تبث عنك لقلبي أصدق الخبر

تجلى حب الله في أعماقه وامتزج بكل خلجة من خلجاته، وهو يسمو بنفسه، ويطهر وجدانه، ويرتفع به إلى ذرى السمو والنقاء، إنه يحيا؛ ليغني بهذا الحب،

يحدو به روحه في كل حالاتها، ويدعو الله أن يكون معه، وأن يذكره إذا نسي كما ذكر أباه (آدم) عندما نسي فلم يجد له عزمًا.

ولأن الهداية والتجلي من لدن الله عز وجل، فهو يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، بيده الأمر وهو على كل شيء قدير، إذن فلا بد من اللجوء إليه، والتوكل عليه؛ حتى تستمر هذه الهداية؛ إنه لا يرى في الوجود إلا سنا خالقه، يراه في الآيات والأناسي، وكل بدائع الخلق، صنع الله القدير، الذي أحسن كل شيء خلقه، وهو يرجو الله أن يجعل حبه خالصًا لله عز وجل لا لبديع مخلوقاته، فكل شيء هالك إلا وجهه، ويدعوه سبحانه أن ينير بصيرته، وأن يجعل حبه لله عز وجل مكرمة تكون ختام عمره؛ لأن الأعمال بخواتيمها. والأبيات صورت – بصدق وإيمان – حبه لله عز وجل، ولجوؤه إليه، وتوكله عليه، ورؤيته في بدائع خلقه، واعترافه ببشريته القاصرة، فهو في النهاية إنسان.

وتمجيد الله عز وجل، والإقرار بوحدانيته وقدرته وحسن تدبيره، وحاجة الإنسان دائمًا إليه؛ من المعاني التي ألح عليها كثيرا(١٩).

وامتزج اعترافه ببشريته القاصرة، بإيمانه العميق بالقضاء والقدر في ابتهاله(٢٠):

عرفت رضاك في لطيف قضاكا ولو لم تشأ بي اللطف كان هلاكا
وإن يدي في الجبس عشرين ليلة لتوبة كف أشركت بهواكا
تمد إلى الدنيا لتجني فانيًا بلذة منهوم صبا لسواكا

كما أنه يعشق الرضا بقضاء الله إذا وجده عند الأناسي، على الرغم مما حرموه في الحياة، كما نجد في قوله عن مكفوف راض بقضاء الله عز وجل(٢١):

قابلته والبشر يملأ وجهه ببهائه ووقاره ورضاه
فعشقت فيه من الثقافة بالرضى قلب القنوع بحبه وتقاه

لكنه أنكر على المحتجين بالقدر، القائلين: لو لم يشأ الله ما كنا من المذنبين، ولو شاء لكنا من الصالحين، ورأى أن ذلك جهل وكفر، وفصل هذه القضية الشائكة بقوله(٢٢):

قال: ما أذنبت إلا كارهًا إن ذنبي بقضاء وقدر

لويشاء الله لم أذنب ولو شاء طهري كنت من خير البشر

إنه الجهل فهذا قول من بكتاب الله والرسل كفر

إدراكه لطبيعة الأدب، ورسالة الأديب كان عميقًا متغلغلًا في أعماق ذاته، لم يحد عنه ولم يتجاوزه، إنه فهم ينطلق من تصوراته الإسلامية العميقة، التي تنظر إلى ذاته، وكل ما حوله من منظور إيماني إسلامي.

وله تأمل رائع في السموات، والأرض، ويدل تأمله في بدائع خلق الله فيهما دلالة قاطعة على دقة ملاحظته، وروعة تصويره، وعلى تجلي نفسه وعمق إيمانه، على نحو ما نجد في قوله عن الشمس(٢٣):

واسأل خطى الشمس في الأعوام واحدة كأنها من رشيق الشعر أوزان

لمستقرٍ لها تجري بلا ضجرٍ وماتناءت بها في الغيث شطآن

كالفلك في البحر رهوًا لا تعوِّقها ريحٌ... ولا يترك السكان رُبَّان

وفي شعره ما يشير بوضوح إلى تعمق المبادئ الإسلامية للكون والحياة والأحياء، فالإسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقه متغلغل في أعماق أعماقه، متوغل في كل خلجة من خلجاته، فهو كما يبدو من أخباره وشعره حسن الإسلام، يصدر عنه في أقواله وأفعاله وعلاقاته وكل أحواله وكان شعره تجليًا نفسيًا وترجمانًا صادقًا عن حياته.

فقد قرأنا وسمعنا عن شعراء نظموا الشعر في موضوعات لم يخالطوها، أما هو فكان على النقيض من ذلك تمامًا، مسلمٌ في حياته، فلا يحيد عن الإسلام

بقيمه ومثله العليا التي تجلت في نفسه، فيضمن شعره ما يصدر عن الإسلام دينًا ومنهاجًا وسلوكًا، نجد ذلك في هذا الخطاب الرائع لقلمه(٢٤):

وما غمستك في إثم يجرعني مر العذاب ويدعو للردى قدمي

ولا دعوتك في إغراء غانية بأحرف السحر أرضي في الهوى نهمي

ولا هجاء ذميم اللفظ فاحشه أجني به غير مأمون على قيمي

يبدو اتجاهه في صون إيداعه عن كل ما يغضب الله جلَّ جلاله، فهو لم يقع به في إثم يجرعه العذاب، ويجره للهلاك، ويودي به إلى نار جهنم، فهو يخاف من عذاب ربه إن أورده موارد الرذيلة؛ لذلك كانت أغرودة الابتهال عنده مثالًا رائعًا للالتزام الإسلامي، يتضح هذا –جليًا– في كل مضامين ابتهاله.

وكما يرى الله في مخلوقاته، يراه في ذاته، وفي كل أحواله، ويقر بوحدانيته؛ فيبتهل(٢٥):

أراك بهذا الأفق في ملكوته على العرش في الأغوار في الذرات

أراك إلهي في منامي ويقظتي وحولي وفي نفسي وفي نظراتي

وألح على تكرير هذه المعاني في غير موضع من شعره(٢٦).

أبرز فهمه العميق للشعر، ووظيفته، ورسالته، فهو – عنده – تجل وقبس من نور الله يعبر عما في النفس تعبيرًا يقوم على العبارة المشرقة المبينة، والمضمون البين والصورة المثلى.

وهو لا يقبل إلا الشعر الذي يقوم على حدة الإحساس، وإثارة المشاعر، والنفاذ إلى قلب المتلقي، وأن يكون قبل ذلك عربيًا أصيلًا مشرقًا في بيانه، يبدو ذلك في قوله(٢٧):

أنا للشعر – إن أقل – عربيٌّ تنفث الضاد سحّرها في كماني

لست منه وليس مني ببيتٍ لا يثير الشجون في وجداني

ونفس مفعمة بالإيمان بالخالق الأعظم متغلغلة في اعتقادها لابد أن يبرز في إبداعها الإيمان بالملائكة والأنبياء والكتب السماوية. أما الملائكة فذكر منهم جبريل في عدة مواضع، جاءت في معرض ذكره نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم، منها ابتهاله[٢٨]:

من "حراء" أشرق الوحي به في البرايا فاستنار المشرقان

نازلًا "جبريل" من آفاقه يغمر الدنيا بآياتٍ حسان

وفي البيتين إيمان بالقرآن الكريم المنزل على قلب خاتم المرسلين –صلى الله عليه وسلم–.

وذكر عتيدًا في معرض تسجيل أعمال العباد، فقال[٢٩]:

وهل "عتيدٌ" تغاضى عن مقابحهم فكان منكم له جند وأعوان

وتطرق لذكر الأنبياء في معرض رده على العلمانيين فابتهل قائلًا[٣٠]:

عالم يجحد القدير جهول أي علم يكذب الانبياء

رادة الحق صفوة الخير والنو ر تحلوا بعصمة عصماء

وذكر منهم في شعره إبراهيم وإسماعيل ويونس ويوسف وموسى وعيسى ومحمد –صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين–[٣١].

وتتضح في شعره عن الخالق والأنبياء عقيدته النقية الصافية، المبرأة من كل خطأ، فقد انتقد عقيدة النصارى الباطلة في قوله[٣٢]:

وهدي الله يبدل الأرض عدلًا ظلل الناس من لظى الأحزان

وطوى القالة الشنيعة أن الله ألقى المسيح للصلبان

وشعره في خالقه – كما رأينا – ينطلق من تجلي النفس وصدقها وإدراكها للتصور الإسلامي للخالق الأعظم – عز وجل–، فهو الواحد الأحد، الفرد

الصمد، الأول بلا ابتداء، الآخر بلا انتهاء، الباقي بعد زوال خلقه، فكل شيء هالك إلا وجهه، المتصف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، أمره بين الكاف والنون، إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون.

وكتاب الله ثاني مجالات التجلي، حفظه الشاعر صبيًا، واتخذه خلًا وفيًا، وقضى حياته يسير على نهجه، ويدعو للعمل به، بل يراه الطريق الأمثل لنهضة الأمة، وعودة مجدها.

وعند حديثه عن كتاب الله ذكر تحديه للعرب قاطبة وهم أهل الفصاحة والبيان، فقال(٣٣):

ديننا "ذلك الكتاب" حكيمًا رد عقل الحياة ما أعتاها

أعجز الخلق هاتفًا يتحدَّى أفصح الخلق ما أقامو الجباء

وبين حقيقة أن القرآن الكريم لم يؤثر في الإنس فقط، بل شمل الجن معهم، فقال(٣٤):

فإذا بالجن والإنس له من شديد، الأسر طوعًا يسجدان

ولام المسلمين على نسيان القرآن وهجره، فقال(٣٥):

رب يا منزل الكتاب شفاءً واعظ القلب قد غدا منسيّا

ودعا ولاة أمور المسلمين إلى العودة إلى القرآن والسنة، وحذرهم من تركهما، فقال(٣٦):

أيها القادة الرعاة أناة ومعادًا لنور هذا الكتاب

ليس دون القرآن والسير بالـ ـسنة إلا النار التي للعذاب

ومن تجليه المؤكد أرسل صيحته القوية للمسلمين أن يعودوا للقرآن الكريم، ويتركوا أعراض الدنيا الزائلة، ولن تكون الأمة بخير –أبدًا– إلا إذا تمسكت به، نجد ذلك في ابتهاله(٣٧).

ما صوّح الروض والقرآن حارسُهُ نحن الأولى بهوى الفاني هجرنَاه

وشمل التجلي بالقرآن الكريم حديثه عن لغة القرآن، وفي حديثه عنها صور في مطولة له – بلغت ستة وثلاثين ومئة بيت– عشقه لها، واعتزازه بها، فقد نظم بها إبداعه، وعبر عن خواطره ورؤاه.

وذكر فيها أنها لغة القرآن الكريم، نزل بها الوحي على رسولنا –صلى الله عليه وسلم– وبها كان بيانه، وهي لغة حضارة الإسلام، وحصن شريعته الغراء، وبيان العلماء الأفذاذ، الذين أخلصوا لها، وسبروا أغوارها، ولغة الشعراء المبدعين؛ حيث نظموا بها فرائدهم، ولسان الناشرين الحكماء، فقد صاغوا بها وصاياهم وخطبهم، ليس هذا فحسب بل وجه نقدًا جريئًا لمن يتخلى عنها، أو يتخاذل عن نصرتها، وتحسر على ما أصاب اللغة العربية في زماننا، ولاسيما في أجهزة الأعلام، ودعا الله مخلصًا أن تظل لغة الضاد آمنة من كيد الكائدين، وشر المتربصين، ومنها قوله(٣٨):

منذ فجر الحياة أنت لساني كلما ازددتُ زدت من إيماني

يا حماك العزيز من كل عادٍ ورعى كل مخلص معوان

إنه دعاء صادق من قلب عاشق للعربية، مخلص لها، غيور عليها، راعه ما آل إليه حالها في عصرنا.

ننتقل إلى المجال الثالث من مجالات التجلي:الحبيب المصطفى –صلى الله عليه وسلم–:

أما المعاني التي تضمنها شعره في الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم؛ فكثيرة منها: تصوير محبته للرسول صلى الله عليه وسلم، والاعتزاز بمديحه للرسول الكريم– صلى الله عليه وسلم–، والصلاة عليه، وسرد معالم سيرته العطرة من مولده –صلى الله عليه وسلم– إلى وفاته، وأخذ الدروس والعبر منها؛

لتتجاوز أمتنا المحنة التي تعيشها، ووصف حياة الناس قبل بعثته – صلى الله عليه وسلم، وحياتهم بعدها، والموازنة بين الحياتين في جوانب حياتهم المختلفة.

ويبدو في ابتهاله بحبه للرسول –صلى الله عليه وسلم– تجلي النفس وصدق العاطفة، وقوتها، وسموها، فهو يشعر بالأمن في رحاب مسجده، حيث النور والهدى، ويتمنى أن يقضي أنفاس وداعه في رحاب مدينته –صلى الله عليه وسلم–، نجد ذلك في قوله(٣٩):

إليك أبا الزهراء والقلب واجف سعى بي من الحب الطهور أثيل
كتبت حروفي في هواك بأدمعي وحول مقامي للحمام هديل
توطن حيث الأمن والنور والهدى له منك حام ضامن وكفيل

استطاع في ابتهاله أن يجعلنا نشاركه هذا الجو من التجلي الروحي الجليل، وحينما نقلنا إلى المسجد النبوي بعبقه وطهره؛ أرانا منظر الحمام المنتشر في ساحه الطاهر، فأشعرنا بالسكينة والطمأنينة. لكن اللافت للنظر هو إحساسه العميق بدنو أجله، وتمنية أن يقضي أنفاس الوداع في مدينة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وقد حقق الله أمنيته، فانتقل بها إلى جوار ربه، ودفن بالبقيع. والأبيات تفيض حبًا للرسول –صلى الله عليه وسلم–.

وتتبع سيرة الحبيب –صلى الله عليه وسلم–، فذكر طفولته، وعمله، ورسالته، وجهاده، وصور ذلك تصويرًا دل على امتلائه بالسيرة العطرة، وفقهه مبادئها، ومن ذلك قوله عن رعيه –صلى الله عليه وسلم– الغنم(٤٠):

حدثني عنه رحمة وحنانا وهو في السرح راعيا للشاء
يتلقى دروس السياسة والحكـ ـم وحزم الرعاة والرؤساء
يتوخَّي لها الخصيب من الأر ض ويغشي بها عيون الماء

والمدقق النظر في هذه الأبيات يجده قد ربط ربطًا جميلًا بين رعيه –صلى الله عليه وسلم– الغنم يغشى بها الماء، ويتوخى لها الخصب، وبين تعلمه السياسية والحزم والحكم، وهذا يؤكد أن شاعرنا لا يسجل الوقائع تسجيلًا حرفيًا؛ بل يدرك أسرارها ويفقه أغوارها، ويفيد من دروسها.

ثم يقول:

ألمعيًا تهفو إليه غرامًا وتناغيه في رضًا وولاء
مثلما يهزج الشكور بلحنٍ عبقريٍّ لواهب النعماء
إيه ياشاءُ قد ظفرت بقلبٍ سوف يرعى دنيا الورى بسخاء

والشاعر الذي اعتقد (تجلى) لا يمر على الحادث مرور الكرام، بل يتعمقه، ويستشرف به المستقبل، وقد أتي في البيت الأخير بالبديع الفذ، فقد شخص الشاة، وخاطبها، وذكر أن راعيها سيكون راعيًا للدنيا بأسرها، وتلك مفارقة في غاية الروعة والجمال.

كان الشاعر الملتزم يعرض السيرة العطرة للحبيب المصطفى لأخذ الدروس والعبر، والإفادة من مواقفه الجليلة في واقع أمتنا المعاصر، كما يجد في قوله عن الهجرة الشريفة(٤١):

يا هجرة الحق في الذكرى لنا عظة كم خلف غابك من تاريخ ضرغام
فعلمينا ثبات القلب إن لنا مع اليهود ليومًا تاجَ أيام

أما اعتزازه بمديحه –صلى الله عليه وسلم–، والصلاة والتسليم عليه فيتكرران في شعره بصورة لافتة، ومن ذلك ابتهاله(٤٢):

عليك صلاة الله نورًا ورحمة ووافاك من فضل الجليل جليل

ولم يبالغ في وصفه، ولم يتزيد، ولم يطره كما أطرت اليهود والنصارى أنبياءهم، بل كان شعره فيه موافقًا للعقيدة الإسلامية، صلى الله على محمد وأصحابه وآله.

وكل ما أبدعه في تجليه بحبه للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، لم يخرج عن التصور الإسلامي، فهو عبد الله، أرسله الله خاتمًا للأنبياء والمرسلين، نزل عليه الروح الأمين بالقرآن الكريم، وهو البشير النذير، ورسالته متممة الرسالات السماوية، وحبه من حب ربه عز وجل، وطاعته من طاعته سبحانه وتعالى.

المجال الثاني: التخلي:

ننتقل إلى المجال الثاني من مجالات الابتهال وهو دعوة (التخلي) عن الخصال الذميمة، والترفع عن الرذائل والصغائر للسمو بالذات جسدًا وروحًا.

وكانت من وظائف الأدب في أول الإسلام النضال من أجل إعلاء كلمة الدين، والذود عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومنافحة أعدائه، وإنها لغاية عظمى أن يقوم الأدب بهذا الدور العظيم، فقد كان الرسول –صلى الله عليه وسلم– يحث الشعراء والخطباء، على أن يردوا هجاء المشركين، ويذودوا عن حياض الإسلام بألسنتهم.

فالأدب " هدف من أهداف البشرية الجادة، بل من معالي الأمور؛ لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– لا يأمر إلا بشيء هو من معالي الأمور"(٤٣).

فلما كان الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجًا؛ كان للأدب وظائف أخرى في التوجيه والإرشاد والتربية والتوعية، وكان المسلمون يستعينون به في ساعات الشدة، ويستروحون به في أوقات المحنة، ولكن المتعة في هذا النوع من الفن لا تخرج عن حدود ما أحل الله، ولا تخرج المؤمن من ساحات الفضيلة.

ومهما يكن فالنضال والدفاع عن الدين، والتوجيه والتوعية والتربية، والمتعة الحلال من وظائف النص المستمد من التصور الإسلامي، فهو نص هادف ممتع في آن، هادف لأنه يدعو إلى الأخلاق والفضيلة، ويحذر من الشر والرذيلة، وممتع لأنه يطلق للأديب العنان لينطلق بخياله.

فهو حين يصور الخير إنما يصوره من أجل الدعوة إليه، وبيان حسن عاقبته، وحين يصور الشر، إنما يصوره من أجل التحذير منه، وبيان سوء عاقبته، فهو يصور الخير من أجل الخير، ويصور الشر من أجل الخير أيضًا.

إن الإسلام لم يجعل من حرية التعبير وإبداء الرأي أداة في أيدي العابثين للتطاول على الدين أو المسلمين، أو قذف المحصنات الغافلات، أو إشاعة الفاحشة بين الناس، ولا شك في أن هذا يعد من إساءة استعمال الحرية، والحرية لا تكون بأية حال من الأحوال اعتداءً على الآخرين، أو مهلكة للنفس، أو تطاولًا على الدين وشعائره ورموزه، فالإسلام يكافح الأدب الهدَّام، ويأخذ على أيدي المتجاوزين من الأدباء، وفي وقفات النبي –صلى الله عليه وسلم– والخلفاء الراشدين –رضوان الله عليهم أجمعين – ولا سيما عمر بن الخطاب" مع الشعراء المتجاوزين، في تلك الوقفات صور لما ينبغي أن تكون عليه الحرية.

وفي قصائد الشاعر، التي أطلق عليها "كلمات على الأثير"، نجده يحث على المعروف ويدعو للتخلي عن المنكر، وهذه القصائد كما يبدو من عنوانها كانت تقدم في برنامج إذاعي، وفيها يزجي النصائح للمسلمين يحثهم على الخير، ويحذرهم من الشر، ومنها قصيدته " في الدين غنى"، التي يقول في مستهلها(٤٤):

يا أيها المسلم في الدين غنى يسعد الروح بأسباب الهنا

فاغْنَ بالدين وعش ظله طيب القلب كريمًا مسحنًا

فهو يحث المسلمين على اتباع الدين الإسلامي فلا نجاة إلا به ولا سعادة إلا في رحابه، فالدين يرقق القلب ويهذب الأخلاق.

وجعل الأمر بالمعروف فرضًا كالصلاة والزكاة، يبدو هذا في ابتهاله[٤٥]:

لولم يكن الأمر بالمعروف مفترضًا ما بان من منطقي وعظ ولا سمر

كثر في شعره حث الناس على فضائل الأعمال، وتحذيرهم من رذائلها؛ لأنه كان يعلم أثر الأمر بالمعروف في حياة الأمة.

كان ينتقد القبيح، رغبة في تغييره ليحل محله الحسن، فهو في الحالين يدعو إلى الأخلاق الفاضلة الكريمة، ويحث عليها، ولا يكاد يوجد خلق سيء إلا حذر منه، وحث على التخلي عنه، ومن ذلك الحسد، والغرور، والزهو، والكبر، والكذب، والنفاق، والظلم، والبطر، والكفر بأنعم الله، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، وذكر مساوئ الموتى، والتواجد في الأسواق لغير حاجة سوى الاختلاط بالنساء[٤٦]، وكان أحيانًا يسوق القصص القرآني أو النبوي للتحذير من هذه الآثام، فبعد أن سرد تفاصيل قصة قارون – كما وردت في كتاب الله عز وجل – صور خاتمته، فابتهل[٤٧]:

دخل الدار في الفخامة قارو ن ليحظى في أهله بوصال

وإذا الخسف يدفع الدار في الأر ض بعيدًا من شدة الزلزال

واعتزازًا بالعلم والنفس طاغٍ ومآل الطغاة شر مآل

وأديبنا هنا يوضح قصة قوم سبأ، وهؤلاء هم الذين كفروا بنعمة الله عز وجل، وهي التي وردت في قول الله تعالى: (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور. فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل

وشيء من سدر قليل. ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور) [٤٨]، ومن قوله فيها[٤٩]:

قصة قد أوغلت في القدم قصها الحق لأهل النعم

عبرة مرت بقوم بطروا لم تخفهم عزة المنتقم

ودعا إلى التخلي عن عقوق الوالدين في قصيدته " جريج " هذا العابد الذي انشغل عن دعوة أمه له بعبادته، فدعت عليه أن يفتنه الله، فاستجاب الله دعاءها ثم برأه في النهاية، ومن قوله فيها[٥٠]:

دعوة الأم أدركته منيبًا محض الحق ذكره وسهاده

كيف لو عق أمه يقصد الشر جريح وما أراد رشاده

قل لمن عق أمه وأباه إن للشر إن غرست حصاده

شريعة ربه التي لا يعدلها ولا يدانيها قانون بشري هي التي تحكم فيما يأتي ويذر من الأعمال، كما يبدو من ابتهاله[٥١]:

ميزان دينك لا قانون يعدل نور من الله في أفق الهدى انسكبا

حكِّمه في الأمر تسلم من مخالفة تقيم من حولك الضوضاء واللجبا

تحكيم الشرع في كل أمر يعرض للمسلم، والامتثال لحكمه هو الدواء الناجع لكل داء؛ حتى يسلم من كل سوء، ويحيا حياة سعيدة، مملوءة بالخير والنعيم، إنها دعوة مسلم حسن الإسلام يدعو إلى الله على بصيرة.

ودأب على الدعوة بالتخلي عن حب النفس؛ لأن حب النفس –عنده– شيطان رجيم، يوسوس للإنسان ويغريه، نجد ذلك في قوله[٥٢]:

وحب النفس شيطان وكم عشنا نجربه

الشيطان الرجيم لا يفتؤ يوسوس للنفس، ويحوك لإسقاطها، وهي غارقة في غيها تهوي إلى النار دون أن تدري؛ لذلك فهو يدعو الله أن يعصمها من الكيد والغدر ؛ فقال(٥٣):

ونفسي نهب الغي مثل فراشة إلى النار تهوي للحريق وما تدري

وليس لها رباه دونك عاصمٌ من النار فاعصمها من الكيد والغدر

ودأب على تزكية نفسه، وتوجيه النصائح لها، فحذرها من اليأس ودعمها بمبدأ الرضا على كل حال؛ لأنه لا يدوم حال؛ نجد ذلك في قوله(٥٤):

إذا ساء حالك لا تيأسي وإن أحسن الدهر لا تفرحيّ!

فما ساء حال فدام الأسي ولا عاش قلب على المفرح

وتبدو في الأبيات سنة الله عز وجل في التغيير، وعدم ثبات شيء على حال، المهم ألا نفرح بما أتانا، ولا نحزن على ما فاتنا، مصداقًا لقول الله عز وجل: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)(٥٥).

وهو يحذر من النفاق ويدعو للتخلي عنه، ويحث على الاستقامة في زمن باع الناس فيه دينهم بدنياهم واختلفوا فيما بينهم، فتداعت عليهم الأمم، وطمع فيهم كل جبان؛ نجد ذلك في قوله(٥٦):

أكرع الصبر وأسقي الـ ـمر بالكأس الدهاق

من زمان جل قومي فيه غرقى في النفاق

بدلوا الدين بدنيا مزقت صفو الوفاق

وهو كثير المعالجة لنفسه، تارة بالترغيب؛ كما نجد في قوله(٥٧):

نشدت الكمال فلم تكملي وشئت الجمال فلم تجملي

فحتى متى تعشقين الجموح وشيبي على هامتي يعتلي؟
أما تعشقين صلاح التقاة؟ أما تنشقين شذى المنزل؟

وأخرى بالترهيب في قوله [٥٨]:

أراني صحوت الآن والمقت صارخ بنفسي من نفسي على نهجها المزري
أعنفها كي تستقيم وقد رمت على ظهري المفقور قاصمة الظهر

ويحذر نفسه فيذكرها بالشيب، ويزجرها بالقبر حتى تستقيم؛ نجد ذلك في قوله[٥٩]:

أخاصم نفسي عند أعدل حاكم خليلة شيطان متى شاء أجلبا
أذكرها بالغيب والشيب عبرة فتسكن حينًا ثم تخترق الخبا
وأزجرها بالقبر والقبر زاجرٌ فترعد رعبًا ثم تمضي مع الصبا

وليحذر الإنسان من الشيطان تحدث الشاعر عنه في مواضع كثيرة مؤكدًا عداوته للإنسان وتربصه بالنفس البشرية، ووسوسته لها، لتتردى في مهاوي الرذيلة.

ويؤكد على أن إبليس هو السبب وراء طرد آدم وزوجه من الجنة، ونزوله إلى الأرض، كما أنه المسئول عما يحدث في الدنيا من شرور وآثام، وكذب وخيانة، ووصف آدم وزوجه بالطهارة والبراءة، يبدو ذلك في تحذيره[٦٠]:

لو أبى النصح من كذوب خئون دَاريَّ القصد ما ارتضى بالدون
لو أباه كن البلابل في الخلـ ـــد بحظٍ عن الشقاء مصون

ووصفه –أيضًا– بالكبر عندما زعم أنه خير من آدم؛ فقال[٦١]:

"أنا خيرٌ منه" كانت محنةٌ أنزلت إبليس مدحورًا كفورا

وأشار إلى دوره فيما كان يحدث في الجاهلية من عبادة الأصنام، ومساوئ وآثام؛ فقال[٦٢]:

كان للشيطان غرسٌ بشذى السحر يفوح!
يجذب الخلق عليه الكل يغدو يروح

ونصح الإنسان أن ينتبه لوسوسة إبليس ومكره؛ فقال[٦٣]:

فخذ مقادك من إبليس معتزمًا ألا تعود وقل يارب اعتذر

وفي تصوير عز الدين للشيطان لم يتجاوز ما ورد في كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم–؛ فتصويره والتحذير منه دعوة إسلامية خالصة.

ومن باب دعوة التخلي تحدث الشاعر الملتزم عن الحياة الدنيا حديثًا يكشف نظرته الدقيقة وإدراكه لسرها، مؤكدًا على أنها دار فتنة وغرور، والإنسان مهما يعمر فيها غريب، عما قليل سيفارقها، ويترك كل ما جمعه فيها؛ فليحذرها كل عاقل ويتجنب مفاتنها، وهذا بادٍ في قوله[٦٤]:

أنت يا دار فتنة وتصابٍ كم سحرنا بحسنك الكذاب
كل ما في يدي منك عرايا غير ما قدمت ليوم الحساب

والشاعر على يقين أننا لم نخلق من أجل الدنيا؛ بل خلقنا للحياة السرمدية الباقية في الآخرة، على نحو ما نجد في ابتهاله[٦٥]:

أو لسنا لغيرها قد خلقنا أو لسنا هنا من الغرباء

وتبدو الآخرة في قوله [٦٦]:

هنالك زالت زيوف الحدود وأدرك ساع مدى قصده
هنالك ذاب كصخر الجليد شموخ الغني على عبده

دار النعيم المقيم للصالحين والراحة الأبدية السرمدية لهم، والعذاب المهين للعصاة والمشركين، فثمة تزول الفروق وتتلاشى الحدود.

وصور جنة الخلد، وما أعده الله فيها لعباده المتقين؛ فقال(٦٧):

جنان خلود في يديك زمامها وأنت صحيحٌ سالمٌ غير كاسد

بها العيش صفوٌ والحياة سعيدةٌ وما لا رأت في دهرناعين شاهد

وصور نار جهنم، وما أعده فيها للكفار والعصاة، فقال(٦٨):

بقاع لظى زادت سعيرًا وأطبقت على شاردٍ يعصي العزيز وجاحد

ولم يهتم دين من الأديان السماوية مثلما اهتم الإسلام بالأخلاق، فقد دعا إليها وحث على التخلي عن الرذائل، بل إن الرسول – صلى الله عليه وسلم– بُعث؛ ليتمم مكارم الأخلاق.

واتجاه يمثل هذا الدين لا بد أن يكون في الذروة العليا من تمثيل الأخلاق الكريمة، والدعوة إليها، ونحن لا نقصد بالطبع أن تكون الدعوة مباشرة زاعقة، وإنما نريدها دعوة أدبية متلبسة بأردية الفن الجميل، متوشحة بالصور الرائعة، والتعابير الرائقة.

إن التوجه الإسلامي لا يقيد الأديب، بل على النقيض تمامًا، إنه يطلق العنان لخياله أن ينطلق في الوجود بأسره، بل فيما وراء الوجود، ولعل في وصف الرسول – صلى الله عليه وسلم– للجنة خير تعبير عما يمكن أن يكون عليه خيال الأديب المسلم.

المجال الثالث: التحلي:

ننتقل إلى المجال الثالث من مجالات الابتهال وهو دعوة (التحلي) بالخلال الحميدة والالتزام بالقيم والمبادئ التي حثنا عليها ديننا الحنيف للارتقاء بالنفس قولًا وعملًا، والأدباء خير من يقومون بمثل هذه المهمة، وذلك بما أوتوا من

مواهب، وبما حملوا من أمانات يجب عليهم أداؤها وتلك كانت المهمة التي كلف بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– نفرًا من شعراء المسلمين في عهد النبوة "ولا ريب في أن ذلك وسام فخر يضعه الإسلام على صدور الأدباء، حين يبحث عنهم ولي أمر المسلمين، كما يبحث الطبيب الحاذق عن الدواء الناجع.

وإنها مسئولية كبرى يلقيها الإسلام على عاتق الأدباء، وإشارة واضحة إلى مهمة الأديب الإسلامي في بناء المجتمع، فأسلات الأقلام في هذا الدين كشفرات السيوف، وكل أديب يستحق هذا اللقب بجدارة يقف على ثغر من ثغور الإسلام، وكل مسلم غيور على دينه، حريص على أن تقال أمته من عثرتها، وتتبوأ مكانتها بين الأمم لا يماري في أن الأدب الإسلامي ضرورة ملحة. لذلك نراه مهمومًا بأن يبقى للأجيال شعرًا موسومًا بالإسلام، محلقًا في أجوائه النقية الطاهرة السامية، يتمسك بها في الدنيا، وينعم في الآخرة، كما يبدو من قوله(٦٩):

لم أكن أذكر في ماضي رؤايا
من حروفٍ رددتها شفتايا
أو سطور من يراعاتي الفتيّه
بشعوري ومنى نفسي الشقيه
أن لحنًا قد رواه الدهر عني
فيه رجس أو فجور غير أني

كان أديبنا يعي تمامًا طبيعة التوجه الإسلامي، ورسالته، وحاجة الأمة إليه، بل أنه كان يعده لونًا علويًا من الأدب ويكفي مبدعه فخرًا أنه يدافع عن حياض الإسلام ويذكر بالتحلي بقيمه، وينافح خصومه وينال به الثواب الجزيل في الآخرة، ويستحق دعاء رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وورد ذلك جليًا في قوله(٧٠):

هذا هو الأدب العلوي من عزفت عن هديه نفسه فليرث حاصله
سما بكعب وحسان فمازهما لما أطاع حديد الطبع صاقله
تبدُّل القلب من نفس منكسة نفسًا ترد على الشيطان باطله
فاستوجبت دعوة المختار شاهرة سيف البيان وما أنكي نوازله

فالأدب عنده ليس وسيلة من وسائل قتل الوقت، وتزجية الفراغ، وليس لذة ومتعة حرامًا لا ينظر فيه إلى المضمون والأهداف، وإنما رسالة وهدف وقيمة وبناء فني لا يخلو من المتاع الحلال.

وفهمه لطبيعة الأدب، وخطورة دوره، جعله يهيب بالأدباء أن يفيقوا من سباتهم، وأن يشهروا أقلامهم للدفاع عن الإسلام، ومنافحة أعدائه، الذين يتربصون به، ولا يضيعون فرصة للنيل منه، بل والإجهاز عليه، كما يبدو ذلك في قوله(٧١):

يا رادة الأدب الإسلام يطلبكم حماة صرح يرى فيكم أماثله
ردوا الأباطيل من جيش الظلام له سلت سلاح الردي يخفي مخايله

وتبدو في أشعاره في خالقة شخصيته الإسلامية القوية المعتزة بالتحلي بمبادئ الإسلام، فهو مسلم يستمد خلقه الأصيل من كتاب الله، ولا يتبع مذهبًا من المذاهب الملحدة، أو دعوة من الدعوات الباطلة، ونجده يعتز بذلك اعتزازًا كبيرًا في ابتهاله(٧٢):

أنا مسلم، خلقي أصيل، من كتاب الله نابع
تبعي الأنام، وما أنا في مذهبي للخلق تابع
أرسى من الجبل الأشم فلا تزعزعني الزوابع
أنا مسلم استقطب الدنيا وأنظر في العواقب

متحرر الفكر الأصيل فلست عن ديني بذاهب

ربط – في الأبيات السابقة – بين المسلم والخلق الرفيع، المستمد من كتاب الله عز وجل، ووصفه بالأصالة، وعدم التبعية، والثبات على المبدأ، والتفكر، والتحرر مع المحافظة على الدين الإسلامي الحنيف، وتلك سمات ينبغي أن تتوفر في كل مسلم.

وفي إطار دعوته للتحلي بالخلال الحميدة ذكر أعلام الصحابة للسير على نهجهم. وللشاعر الملتزم –رحمه الله– عدد من الأغاريد في بعض صحابة النبي – صلى الله عليه وسلم، وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وحمزة بن عبد المطلب، وسعد بن أبي وقاص، وأبو ذر الغفاري، و خباب بن الأرت، وعمار بن ياسر، ومصعب بن عمير، وخالد بن الوليد، وأبو الدرداء، وأم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عن صحابة رسول الله، وعن أزواجه وآله.

وقد قدم لإبداعه فيهم بعنوان: خالدون أيها الصحابة؛ وهذا يدل على حبه لهم، وإعجابه بهم، ورغبته في اقتفاء أثرهم، وإتباع نهجهم، واصطحاب متلقيه إلى عوالمهم؛ علَّهم يتحلون بصفاتهم، ويتعلمون من مواقفهم، كقصيدته في أبي الدرداء رضي الله عنه التي قال في مستهلها(٧٣):

يا بنات الهديلِ صُغْنَ ثنائي لحن حبٍّ وصبوةٍ وغناءِ

وقصيدته في سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– التي قال في مطلعها(٧٤):

قلبي حزين على إثر الأولى ثاروا ما خلّفوا من به شتنقذ الدار

وصدر شعره فيهم عن حُبٍّ قوي، وإعجاب حقيقي، وعاطفة صادقة سامية. ولا غرو فقد ربوا في مدرسة المصطفى – صلى الله عليه وسلم–، وهو يفتقد أمثالهم في حياتنا المعاصرة، كما يبدو من قوله(٧٥):

هل في الحياة التي نجتاز جامِحَها لصحبك الغرّ يا مختار أشباه

وهو من فرط حبه لهم، وإعجابه بهم، وتقديره لما بذلوه للإسلام يحيا معهم بروحه، كما يبدو من إبداعه(٧٦):

أنا أحيا مع الصحابة بالرو ح وأرجو لدى الكرام قبولا

بل إن إبداعه لا يستطيع لهم وصفًا، كما يبدو من قوله(٧٧):

كأنني ناظرٌ مالم يحط قلمي ولا تحيط به في القدر أشعار

لكن حسبه أن يغفر له بحبهم، فهو لا يملك إلا حبه وإبداعه والتحلي بالامتثال بمواقفهم، فالمرء مع من أحب، وهو لا يملك إلا حبه وإبداعه(٧٨):

لعل حبي لأصحاب الرسول يدٌ يُمحَى بها من ذنوب العبدِ قنطارُ

ما لي من الخير إلا أسطر عبَقَتْ بذكركم فقصارى العزم أشعار

إنه يسكب الدموع مواساة لأمثاله من محبي الصحابة، واجتماعًا على حبهم، ورسالة لولاة أمور المسلمين علهم يفيقون مما هم فيه، ويعودون إلى شريعة الإسلام، ونهج النبي – صلى الله عليه وسلم– وسيرة صحابته –رضوان الله عليهم– لامتثالها في كل مناحي الحياة، إنه موقف صالح يعلنه، وكلمة حق يرفعها، يبدو هذا في ابتهاله(٧٩):

صحابة المصطفى أعطيتكم قلمي ولست أملك إلا دمع ولهان

إن كان في الدمع سلوان وتعزية ففي بكائي عليكم بعض سلوان

لعل دمعي يواسي من يماثلني ومن يرى وجده وجدي فيرعاني

فنرفع الصوت عل الله يبلغه إلى قلوب ولاة الأمر والشان

ولإيصال سيرة حياة الصحابي كاملة في رسالة يبتغي بها اقتفاء أثر الصحابي والتحلي بخصاله؛ كأن يعد نفسه إعدادًا جيدًا لتجلية حياته، وعرض معالم سيرته، فكل قصيدة من قصائده فيهم ترجمة وافية للصحابي: وسيرة حياة

متعمقة له، فهو يعني بالتفاصيل والجزئيات ووصف الوقائع والأحداث، وتصوير المواقف، وإيراد الأقوال، ويصوغ كل ذلك شعرًا جميلًا مشرق الديباجة، محملًا بعبق أجواء المجد الإسلامي في أزهى عصوره لعلَّ قارئه يمتثل بصفاتهم ويتحلى بها، وقد كان يخبر أنه يقرأ عن تلك الشخصيات في كتب التاريخ، ويعلن ذلك في صدقٍ رائع، نجد ذلك في ذكره لسعد بن أبي وقاص(٨٠):

قرأت أخبار سعد فارتعدت لها كم ترعد القلب في التاريخ أخبار

كان يستقصي أهم معالم حياة الصاحبي؛ ففي حديثه عن أبي بكر ذكر سبقه للإسلام، ونصرته للنبي العدنان، وصداقته له، وتصديقه إياه، وصحبته له في الهجرة، وموقفه من حادثة الإفك، وخلافته له، وكان يضرب في كل موقف المثل، ويقدم الدروس والعبر، ويسقطها على واقعنا المعاصر لأخذ المثل والاستفادة من الدروس والعبر، كما نجد في قوله عن الردة(٨١):

فمن لردَّتنا من بعد عزتنا وغربة الدين تشكو جرأة الجاني

وقومنا كل يوم رهن فرقتهم وأرضنا كل حين رهن نقصان

برئت لله من عصر نعيش به غرقى محيط بلا قاع وشطآن

وابتهالاته في الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، لا تخرج عن التصور الإسلامي، فلم يبالغ في وصفهم، ولم يتعد الحقيقة في سرد معالم حياتهم ولم يفضل واحدًا منهم على غيره، وهذا من أجل التزود بسيرهم والسير على نهجهم والتحلي به. رضي الله عن الصحابة أجمعين، وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ودعا – كثيرًا – إلى مكارم الأخلاق وحث عليها، وفطن إلى مغزاها الحقيقي، وهو السمو بنفس الإنسان، والتأثير في جوارحه، وأخلاقه، ومعاملاته ، وكل أحواله.

ويوجه المسلم أن يتحلى بها حتى لا يضيع عمره الثمين سدى، بل عليه أن ينشغل بها؛ فهي تعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة، ولن يجد خيرًا من العبادة؛ ليشتغل بها، نجد ذلك باديًا في ابتهاله(٨٢):

انتهز عمرك الثمين وقدم ثمن الخلد وافر البركات

بصلاة حبيبة وصيام وقيام مبارك وزكاة

يجمع بين شعائر الصلاة والقيام والزكاة، وفي وصفه الصلاة بالحبيبة، دلالة على راحته بها، وسعادته بأدائها فقد كان يهرع إليها إذا اشتد عليه أمر، أو روَّع قلبه حدث، فيجد راحة قلبه، وأمان نفسه، كما نجد في ابتهاله(٨٣):

وروَّع قلبي الكون صمتا ورهبة وجدت أمان النفس في الصلوات

وقفت أصلي مؤمنًا بك خاشعًا أردد في وادي الهدى دعواتي

وكان يجد في أداء عبادته المتعة والسعادة، فصوت الأذان يشجيه ويُريح روحه، وينقله إلى عالم قدسي من النشوة والجلال، كما يبدو من ابتهاله(٨٤):

داعٍ دعاني وبالتكبير ناداني فهز قلبي بما يدعو وأنشاني

ومن الفضائل التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم؛ فريضة الزكاة، وعند ذكر فريضة الزكاة بين سوء عاقبة منعها، وذلك في سياق قصة أصحاب الجنة "جنة صنعاء "، المستوحاة من قول الله عز وجل: (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون. فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم)(٨٥)، ومما قاله فيها(٨٦):

يرى الزكاة من الأموال مأمنة تزيد نعماءه بالشكر نعماء

ما كان يجني جناها في الظلام ولا يضن شحًا ولا يختال إطراء

وأشار إلى فريضة الصوم، وفضل ليلة القدر، وشهر رمضان، في ابتهاله(٨٧):

أنت خير من ألف شهر توالت ليس قدر الزمان طول الزمان
رمضان ازدهى على كل شهر بك فضلا فكان شهر الأماني

وعند ذكر مكة صور وفود الحجيج على اختلاف ألوانهم وألسنتهم، وهم يؤدون فريضة الحج في شوق ولهفة وجلال، فابتهل(٨٨):

نغمات الأذان تؤذن بالحج شيوخًا ونسوة وشبيبه
تتوالى عليك من كل فج أمم الأرض بالدموع الصبيبه

وهو دائمًا يهرع إلى بيت الله الحرام، ينشد وجهه الكريم، ويدعوه ملحًا في الدعاء أن يزيل همه، ويفرج كربه، ويروي غلته، وينير حياته، كما نجد في هذه الأبيات التي يبتهل فيها(٨٩):

إلى سترك المسدول جئت وقد ربا من النفس همي يارحيم وعذبا

ويؤكد كثيرًا على أن العبادة هي الغاية من خلق الإنسان، ومن ذلك قوله مبتهلًا(٩٠):

إنما نحن خُلِقْنَا للتقى نعبد الله ونُرْضِي ربَّنَا

فالعبادة هي الهدف الأسمى الذي خلقنا من أجله مصداقًا لقول الله عز وجل (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (٩١).

فالعبادة تصحب الإنسان في كل فعل من أفعاله، بها يتحلى المسلم وبها يرضي ربه، وينفع نفسه، ويكون مسلمًا حقًّا، تنهض به الأمة بأسرها، وهي التي يقدمها في هذه الدنيا الفانية؛ ليحظى بالنعيم المقيم في الدار الآخرة الباقية، ونجد فهمًا دقيقًا لهذه المعاني في ابتهاله(٩٢):

الدين إيثار خلد في النعيم على دنيا الفناء من انقادوا لها افتضحوا
أن يصحب المسجد القراء إن خرجوا لا إن رأوا بارقًا من فتنة طمحوا

وفي التحلي بالأخلاق الفاضلة السامية الشفاء من كل داء، فهي حصن حصين، أمر الله بالتمسك به في كتابه، وحض عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم في سنته–، يدل على ذلك قوله[٩٣]:

فإن مكارم الأخلاق حصن يعيش المستعين به مهيبا

وعنده أن فقير الأخلاق أشنع من فقير المال، كما يبدو من قوله[٩٤]:

لا تَعِشْ من عالي الخلال فقيرًا واشدُدِ العزم بالكرام لحاقا

ففقير الأخلاق اشنع فقرًا من فقير يشكو الطوى إملاقا

من الأخلاق الرفيعة التي دعا إليها الشاعر وحث على التحلي بها الاعتدال، والاقتصاد، والعفاف، وشكر الله عز وجل، والتواضع، وقول الحق، وكفالة الأيتام، والعطف على الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل والشيوخ والثكالى، ونجدة المستضعفين والمنكوبين[٩٥]، وقد كان ذا إحساس بمعاناة الناس وآلامهم، على نحو ما يبدو في تصويره استقباله لشاب فقير، لجأ إلى بيته، بعد أن ضاقت به الدنيا، منها ابتهاله[٩٦]:

يا ناهرًا لجريح القلب في النادي هلا لمست بعطف همّه البادي

من يرحم النفس يأمن صولة العادي يا أيها الضيف قد شرفت أولادي

كان دائم الحرص على أن تسود الأخلاق الرفيعة والقيم السامية في المجتمع المسلم؛ حتى تعود للمسلمين قوتهم ومكانتهم بين الأمم، وتحقيق المجد، كما يبدو من قوله[٩٧]:

وطني الكبير عَشِقْتُهُ فإذا بدا لمع الضياء على الطريق الرائد

أشدو أحث خطا الحبيب لنصره زجلًا بآمالي وحلو قلائدي

الهوية –عنده– ركيزة أساسية يتحلى بها كل ملتزم؛ وعليه فهي شغله الشاغل، وهمه الذي يعيش من أجله، ومطلبه الذي لا شيء في قلبه سواه، وقد أقسم بذلك، في قوله(٩٨):

قسمًا لا أعرف النوم ولا أضع الأمة دون المأرب

وقد انتظم حديثه عنها في عدة أفكار تبدي حبه لأمته، واعتزازه بها، وغيرته عليها، وحلمه أن تتبوأ المكانة العليا بين الأمم منها: إبراز هوية المسلمين التليدة، ورسالتهم المقدسة، وأثرهم في الحياة من تغيير للأفضل في كل النواحي، فقال(٩٩):

المسلمون بكل أرض يا لها هبة السماء
غيث تنزل كي يغيث الأرض من ألم الشقاء
نور تفجر في ربوع الكون يجنبه البلاء

فعن طريق المقابلة بين حياة الناس قبل الإسلام، وحياتهم بعده؛ أبرز قيمة المسلمين، وأهمية رسالتهم، وما أحدثوه في الكون من تغيير، وتأمل حياة المسلمين في العصر الذهبي، وما تحلو به من صفات جعلتهم يحكمون أكثر أهل الأرض آنذاك، وزهدهم في دنياهم، واعتصامهم بحبل الله، وعدم تفرقهم؛ فابتهل(١٠٠):

نظرت حولي إلى دنيا أوائلنا في كل صقع بعيد خيلهم تفد
فينشرون لواء المجد ما ذهبوا ويغرسون غراس الخير ما وفدوا
فطوعوا الشارد المزور في شرف بالحق ماعظموا الدنيا ولا عبدوا

وضع يده على سر نصر المسلمين الأوائل ورفعتهم، وانتقد المسلمين في هذ العصر، لأنهم لم يفطنوا إليه، فقد حادوا عن الدرب المستقيم وتخلوا عنه، وصاروا أشياعًا متفرقين.

وصور حزنه على حال المسلمين في هذا العصر؛ فقد أصبحوا لقيمات سائغة في أفواه أعدائهم، لأنهم تخلوا عن الدفاع عن أنفسهم ولم يتحلوا بنصرة بعضهم، فابتهل(١٠١):

فمزَّق القلب أن دالت بأندلسٍ والقدس والنار تستشري وتتقد

والشاعر على وعي تام بما دب من ضعف وهوان، عالمًا بالأسباب التي أدت إليهما، ولفظة "بلونا" توحي بتأمله العميق لواقع المسلمين وأحوالهم، وهذا التأمل ناتج عن خبرة كبيرة وتجربة محنكة.

والشاعر يلح على استنهاض همم المسلمين، وشحذ عزائمهم، ويدعوهم إلى التحلي بمبادئنا السامية لاستعادة الرفعة واسترجاع المجد، ويرى أن الحوار وحده لا يكفي، بل لا بد معه من قوة تحميه، و وتدافع عنه، نجد ذلك في ابتهاله(١٠٢):

كبر الخطب أن يكون حوارًا لن يردّ الحوار مجدًا توارى

ليس هذا فحسب بل ألح على دعوة بني قومه، كي يهبوا سريعًا لنجدة الأمة، ولم يشعر –أبدًا– باليأس، بل هو مصمم على المضي قدما في طريق استعادة المجد، كما يبدو من ابتهاله(١٠٣):

يا أمة القرآن لست بيائس أن تبلغي النصر العزيز مؤزرًا

إني أري مهج الشباب توهجت شوقًا لتقتلع السدود فتظفرا

كما ذكَّر العلماء والدعاة برسالتهم، ودورهم المهم في الحفاظ على الدين، وتنقية العقيدة من الشرك، والعودة إلى أحكام الشريعة الغراء والتحلي بها والالتزام بمثلها؛ فابتهل(١٠٤):

يا قادة الناس للدين الذي تركوا ورادة الناس في الهول الذي رهبوا

شيبت عقيدتهم بالشرك فاضطربت وكل قلب عداه النور يضطرب

ودعاهم أن ينصروا الدين، ويصدعوا بكلمة الحق، ويدعوا الحكام إلى التحلي بالاتحاد والتآزر؛ فقال مبتهلًا[١٠٥]:

من دونكم يا معشر العلماء من يعلو بصوت الله لا يتوقر

قولوا لحكام الأنام تآزروا قولوا لمجترحي الآثام تدبروا

وتغني كثيرًا بالحضارة الإسلامية الزاهرة في أزهى عصورها.

والحضارة عنده لا تكون بتقليد عادات وتقاليد الغرب أو الشرق، وإنما بالتحلي بالالتزام الخلقي، الذي ينتج مجتمعًا طاهرًا قيمًا، كما يبدو في قوله[١٠٦]:

إن التقدم والحضارة أن ترى في الأرض مجتمعًا طهورًا قيما

وهو لم يتعصب للعرب على غيرهم من الأعاجم، وإنما كان حديثه عامًّا عن المسلمين جميعًا في بقاع الأرض، وهذا يؤكد أن الشاعر معني بأمور المسلمين، حريص عليهم، ينشد المجد لهم، وهذا يتوافق مع النهج الإسلامي الحنيف وهدي نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم–.

والإخلاص فضيلة عظمى إذا تحلى بها الفرد، وإنه ليتألم من أناس اعتقدهم أخلاء له، فلما خبرهم وجدهم نابغين في الغدر والنفاق في دنيا اختلت فيها القيم، وانقلبت فيها الموازين، نجد ذلك في قوله[١٠٧]:

بين خلٍ نابغ في غدره بان كالطاووس في ثوب النفاق

غرني ما قد بدا من ثغره وهو سمٌ ناقعٌ بعد الفراق

وترك داره التي أحبها، وارتبط بها مؤثرًا الوحدة على التعامل مع أناس لا يتحلون بالأخلاق الحميدة، نجد ذلك في قوله[١٠٨]:

يادار ماضٍ بهي كنت مَطْلَعَهُ يام شدتك في شوق وإحكام

قد جار جاري فلم أهجرك متخذًا سواك كرهًا لعيش فيك بسام

والزهد من الفضائل التي ينبغي أن يتحلى بها الفرد؛ وعندما تحدث عن الزهد ذكر أمرين: الأول إبراز الصراع الذي يعتمل في نفسه بين الطمع في أعراض الدنيا والحرص عليها، والزهد فيها والصدود عنها، وهذا شعور يعتري أكثر الناس. الثاني: التأكيد على أن الله تعالى تكفل بالرزق لجميع خلقه، وهذان الأمران ألح عليهما بصورة لافتة للنظر، ومن ذلك قوله(١٠٩):

بريق الرزق يغريني لذل العمر في كبد
ولولا فتنة الدنيا كفيت البحر بالثمد
فإن الرزق مضمونٌ وإن نحيا إلى الأبد

وعنده أن القليل الذي لا يلهي عن تقوى الله عز وجل؛ خير من الكثير الذي يشغل النفس عن ذكره، أو يدفع للآثام، نجد ذلك في ابتهاله(١١٠):

والرضا بالرزق فرضٌ واجب كم كثير جر شرًا ونفد
وقليل ليس يلهي عن تقى من متاع أوثمار أو ولد
هو أجدى من كثير شاغلٍ ليل عانٍ بحساب أو عدد

ودعا إلى التوكل على الله حق التوكل، وطلب الحوائج بعزة النفس، فقال(١١١):

فاغن بالله عن خنوع بذل ونفاق فذاك درك الشقاء
وامش للرزق في الحياة الهوينى مستعينا بحلية الصلحاء

ومن خلال لوحاته التي رسمها للرزق نستخلص وجهته التي تؤكد أنه على الإنسان أن يتحلى بالرضا فلا ينبغي أن يريق ماء وجهه، أو يتنازل عن كرامته، وقد علم أنه ما من دابة على الأرض إلا وعلى الله رزقها، وعلم أن في السماء رزقنا جميعًا، فعلى المرء أن يرضى بما قسم الله له، وذلك هو التصور الإسلامي للرزق.

تلك مجالات ابتهالاته كما وجدتها في شعره، وأظن أن القارئ الكريم، قد وضع يده معي على أهم خصائصها التي تتمثل في الاتساع، والشمول، والالتزام.

أما الاتساع فيكفينا دليلًا عليه الرجوع إلى مضامين الأغاريد السابقة، ومراجعة الأفكار والمعاني التي اشتمل عليها كل منها؛ لنرى إلى أي مدى كانت اتجاهاته ملتزمة وشاملة بصورة لافتة للنظر، فهو لم يكد يترك معنى ساميًا في نفسه، أو مما حوله، أو قرأ عنه، أو سمع، أو فكر فيه، إلا عبر عنه تعبيرًا شعريًا منطلقًا من فهمه المبادئ الإسلامية وإدراكه العميق لها.

وقد شمل تصويره علاقة الإنسان بخالقه، وعلاقته بذاته، وعلاقته بغيره من بني البشر، وقد ظهر ذلك جليًا في شعره في الله عز وجل، والعبادات، ومكارم الأخلاق.

وامتد تصويره في عدم وقوفه بشعره عند دنيانا الفانية، بل تحليقه به في العالم الآخر السرمدي، حيث النعيم المقيم للمؤمنين والعذاب الأليم للكافرين والعصاة.

تشهد نماذجه أنه كان من الملتزمين والمحافظين على قيم الإسلام ومبادئه، ويبدو أن بيئته ونشأته كانتا لهما أكبر الأثر في التزامه، فوالده كان عاشقًا للشعر الصوفي النقي وقد كان أفراد أسرته جميعًا من المحافظين على الصلوات في أوقاتها(١١٢).

وإذا كان ما سبق يمثل أهم ركائز فكره الديني؛ فإن تعبيره عنها له جملة من السمات الفنية في عناصر الشعر المختلفة، سوف نتحدث عنها في الصفحات الآتية.

السمات الفنية:

وإنني إذ أنتقل إلى السمات الفنية يجدر بي أن أبدأ بالإحساس (العاطفة) قبل أن يصبح معنى (فكرة)، ويتحول إلى بناء (لغة) لها خصائصها الأسلوبية، وعناصرها التركيبية التي تكون الشكل (الصورة) النهائية للثوب الشعري.

العاطفة:

كان الشاعر صادقًا في شعره كما كان صادقًا في حياته، بل هو مثال رائع للصدق النفسي والشعوري، ولقد اتسمت تجاربه بالصدق؛ لصدورها عن دافع قوي نابع من ذاته، فلم يشذ عنه في أي منها، ونستطيع أن نرى أمارات صدقه في حديثه عن ذاته، وما قد يعتريه من ضعف إنساني، كاعترافه بالتناقض أحيانًا بين أقواله وأفعاله، واعترافه بفقره في عدة مواضع من شعره، وربما يبدو هذا في وصفه للقائه الأول بشاعر الشباب "أحمد رامي"، فيما تركه من مذكرات، إذ قال(١١٣): "...فذهبت إليه في دار الكتب بجلبابي الأبيض الرخيص، وطاقيتي الصوف فتلقاني تلقي الصديق المحب... وعند خروجي من مكتبه خرج يشيعني وفي قبضته نقود يريد مساعدتي بها، يقدمها في استحياء؛ لأنها قليلة، إذ لم يكن مستعدًا لمثل تلك المفاجاة، فقهرتني الدموع، واعتذرت عنها شاكرًا، مبديًا من غناي ما يطمئن به علي "، هذا الفقر جعله يفر من مقابلة شاعر القطرين "خليل مطران" بعد أن أعد رامي لقاء له به، وقد قال في هذا(١١٤): "استصغرت نفسي ومنظري، ولم أقابل شاعر القطرين".

تبدو كل قصيدة من قصائده عملًا فنيًا متكامل الأبعاد، مستوفي الأفكار، فقد كان يوائم بين التجربة والصياغة موائمة رائعة، فيلبس كل تجربة ثوبها الشعري المناسب لها، بلا زيادة ولا نقصان، وكأنه قد عليها، فلا نحس في أي من قصائده بالطول المفرط الذي يصل إلى حد الترهل، أو الإيجاز المخل الذي يصل إلى حد البتر.

كان أديبنا يدرك أهمية عنصر العاطفة في تجربته، ويرى أن شعره زاخر بتصويرها، بل لا يعد ما خلا منها شعرًا، كما يبدو من قوله[١١٥]:

لست منه وليس مني ببيت لا يثير الشجون في وجداني

كان على وعي تام بوجوب التزام الصدق في شعره الذي يحمل مبادئه الإسلامية، وما ظننا بمن أكثر شعره تسبيح الله عز وجل وحمده وتمجيده ودعاؤه، ومديح الرسول صلى الله عليه وسلم، وتصوير جهاد الصحابة رضوان الله عليهم ومناقبهم وإشادة بأمجاد الأمة وحضارتها، وحث على إقامة العبادات الصغرى من صلاة وزكاة وصيام وحج وأمر بمعروف ونهي عن منكر، والعبادات الكبرى الأشمل، وهي الاستخلاف في الأرض وعمارتها، وحض على مكارم الأخلاق، أو قل على الجملة، كما يبدو من قوله[١١٦]:

ما تلك أسطورةٌ تتلى مشاهدها ولا الخيال لكي ترضي يُشهِّيها

تلك الحقيقة في أرقى ملامحها مر العصور عليها ليس يبليها

كما اتسمت عاطفته بالسمو فلم يصور العواطف الهابطة ولا المشاعر الدنيئة، والمتلقي يشعر بقوة عاطفته وثباتها في جل ابتهالاته، فتؤثر فيه، وترتقي بوجدانه، ولا تكاد تفارقه، ونستطيع أن نرى ذلك جليًا في قوله[١١٧]:

أنا في وحشة الفؤاد جريح فوق فرش من القتاد طليح

ليس حولي سوى الخيال طبيب من جراحي يعودني فيريح

كلما أسال الجراح متى البر ء؟ و متى ينهض المعنى الطريح

قالت: اليأس راحة فاترك الوه م برمس ما فيه للبرء ريح

فعاطفته في الأبيات قوية عميقة سامية، ولا يملك المتلقي إلا أن يشاركه ويشعر بما شعر به.

ولمثل هذا وغيره مما مر بنا من نماذج ومضامين يبدو جليًا لمن دقق النظر أن الصدق، والعمق، والتواؤم مع الصياغة، وتصوير المشاعر والأحاسيس والعواطف كانت من أهم سمات تجاربه، ومن أهمها –أيضًا– إن لم يكن أهمها وضوح الاتجاه الديني، فما من قصيدة له –مهما يكن موضوعها– إلا تبدو فيها تلك المشاعر جلية.

الفكرة:

التأثير في الفرد بتهذيب نفسه، والسمو بوجدانه، وتوجيهه توجيهًا صحيحًا نحو ما ينفعه في دنياه وآخرته رسالة يجب أن تصل إلى المتلقي، ووظيفة ينبغي أن يقوم بها، وتجده يضع المتلقي –دائمًا– نصب عينيه في حالة إبداعه، فهو يشعر ليعبر عما في ذاته، وليفهم المتلقي في آن. لذا اتسم شعره بالوضوح، فلا نعثر فيه على غموض أو تدقيق فلسفي يذهب بجمال الشعر وبهائه.

وأفكاره مع وضوحها نجدها عميقة تدل على خبرة وحنكة ومعرفة بالنفس البشرية، وتوغل في بواطن الأمور، وشعره عن النفس، والدنيا والآخرة، والنصح والإرشاد، والرزق خير دليل على ذلك.

تمحورت مصادر الأفكار عند شاعرنا حول كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وثقافته العربية والإسلامية، وحسه وواقعه، والحياة التي يعيشها، والكون الممتد أمام عينيه، ومما اعتمد فيه على القرآن الكريم تصويره لأطوار خلق الإنسان، ومنه –أيضًا– قوله[١١٨]:

هل إذا تسلب الذبابة شيئا يقدر العلم أن يرد سلابا

وقوله[١١٩]:

ولو كان ابن آدم لوذعيًا لصح الوعي ما سلب الذباب

وليس –وقد غزا المسلوب– ليثًا له في حربه ظفر وناب

وكلاهما مأخوذ من قول الله عز وجل: (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) [١٢٠].

وقوله[١٢١]:

لست فرحان بآتٍ أو بباكٍ ما يفوت

ومما اعتمد فيه على الحديث الشريف قوله[١٢٢]:

من رأى منكم بعين منكرًا فليكن في درئه رمز الشهامه

بيديه إن يطق إنكاره شاهرًا في وجه باغيه حسامه

والأبيات مأخوذة من قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وهذا أضعف الإيمان"[١٢٣].

وقوله[١٢٤]:

أعيذ نفسي برب العرش من قلمي ومن لساني فقلبي منه ولهان

فمايكب الوري في النار مثلهما على الوجوه وعقل المرء ميزان

والبيتان مأخوذان من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وهل يكب الناس يوم القيامة على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم"[١٢٥].

وقوله[١٢٦]:

وعد الله والرسول ببشرى في حروبٍ اليهود نطق الجماد

ستنادي الأحجار: خلفي يهو دي فخذه في ذلة المنقاد

والبيتان مأخوذان من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا مسلم خلفي يهودي فاقتله"[١٢٧].

ولم يعتمد شاعرنا على القرآن والحديث في المعاني الجزئية فقط، بل كان في ست قصص استوحى خمسًا منها من القرآن الكريم، وواحدة من الحديث الشريف، أما ما استوحاه من القرآن الكريم؛ فكان قصصه عن إبراهيم عليه السلام، ويوسف عليه السلام، وجنة صنعاء، وأصحاب الجنة، وقارون، وأما ما استوحاه من قصص الحديث الشريف فكان عن "جريج".

اللغة:

هي العنصر الحاضر أمام عيني المتلقي –أو أذنيه– فبها تتشكل الصور، ويقوم البناء.

وهي الأداة التي يعبر بها المبدع عما يمور في ذاته، ويختلج في وجدانه، وينقل بها أفكاره وخواطره ورؤاه.

جاءت مفرداته دقيقة تتواءم مع المعاني والأفكار مواءمة رائعة؛ فترق في المواضع التي تستوجب الرقة، وتشتد في المواطن التي تتطلب الشدة، وهي في كل موحية لا تخرج عن عالم الشعر الممتع المؤثر، ولا تخلع عباءة الفن الجميل؛ حتى في بعض المواضع التي لجأ فيها إلى الأداء المباشر، واتسمت بسمات عدة منها: السهولة، والفصاحة، والجزالة، والدقة، والإيحاء، فألفاظه مع سهولتها ووضوح معانيها في أغلب الأحيان فصيحة جزلة، تنتمي إلى الديباجة العربية الأصيلة في أزهى صورها.

وثقافته الأدبية والدينية الواسعة والعميقة كانتا سببًا رئِيسًا في كثرة استعماله للمفردات الإسلامية في شعره بصورة لافتة للنظر، ومن ذلك مفردات: الله، الإسلام، الإيمان، الدين، الشرع، ونحوها...، كما تكررت مفردات: الزمن، والشيب، والموت، والروح، والنفس، والجنة، والنار، والآخرة، والدنيا، إلى غير هذه المفردات التي دلت على عمق إحساسه بالموت، وإيمانه بالحياة السرمدية في الآخرة.

وحياته أيضًا كانت مصدرًا لا ينكر، أفاد منه في تكوين لغته، وواقعه ومجتمعه، وما قرأه أو سمعه عن العالم حوله، فقد كان مراقبًا جيدًا لكل ما يدور في المجتمع، ملتقطًا بارعًا لما عسى أن يجد من مفردات، أو يتطور استعماله منها، وعلى الرغم من أنه قضى سنوات كثيرة بعيدًا عن موطنه مصر، تبدو مصريته في لغته جليّة.

ومما اتسمت به مفرداته محافظته على رونق لغته الشعرية التي أوردنا أهم سماتها؛ حتى في شعره الذي يغلب عليه الوعظ والإرشاد، ومن ذلك قوله(١٢٨):

يا أيها المسلم في الدين غنى يسعد الروح بأسباب الهنا

فاغن بالدين وعش في ظله طيب القلب كريما محسنا

نحن لم نخلق لدنيانا سدى لا ولم نختم خطانا بالفنا

تأمل معي هذه الأبيات تجد أن بيانه مشرق أخاذ، وديباجته عربية أصيلة، وألفاظه موحية مشعة، تحمل كثيرًا من الدلالات، ولاسيما المفردات: "غنى – الهنا – ظله – الشوك – الجنى".

ومنها براعته في تكريره للمفردات والتراكيب، وتوظيفه ذلك توظيفًا رائعًا في صوره الشعرية، ومن تكريره للمفردات قوله(١٢٩):

نصحت الناس بالزهد وما باليت بالزهد

وقوله(١٣٠):

أذكرها بالشيب والشيب عبرة فتسكن حينًا ثم تخترق الخبا

وأزجرها بالقبر والقبر زاجر فتُرعد رعبًا ثم تمضي مع الصبا

وقوله(١٣١):

وسوف وما أدري لسوف حقيقة من البعد إلا أنها خدعة العمر

ومن تكريره للتراكيب قوله عن الشباب المسلم[١٣٢]:

كان والله لو توحد سيلًا يقهر النار أن تثير أوارا

كان والله لو توحد هولًا يقهر الظلم أن يثيرا غبارا

وقوله[١٣٣]:

أين نحن اليوم من هذا السنا من كتاب الله قد جل الكتاب

أين نحن اليوم من شرعتنا حينما غابت فقد غاب الصواب

أين نحن اليوم من أمجادنا خطّها الهادي وعلاها الصحاب

وقوله[١٣٤]:

أنت حي رحلت هذه الدا ر بذكر على الحياة مجيد

أنت حي ذهبت في بهجة القلـ ـــب لعيش مدى الخلود سعيد

ولا يخفى ما لتكرير المفردات والتراكيب من دور مهم في تأكيد المعاني والأفكار، فضلًا عن دوره في تقوية الموسيقي وإشاعة النغم.

ومنها حسن استعماله للمحسنات البديعية، ومن ذلك الجناس والطباق، فمن الجناس قوله[١٣٥]:

وألثم ركنا من يمينك يمنه وأنشد وجها لجلال محجَّبا

وقوله[١٣٦]:

وكم خليت محرابًا لحرب بها سبقت لمهجتك الحراب

وقوله[١٣٧]:

بدلوا الدين بدنيا مزقت صفو الوفاق

والجناس إذا جاء طبعيًا غير متكلف؛ كان ألذ في السمع، وأقوى للنغم، وأدعى للتامل، وهذا ما نجده عند شاعرنا الملتزم.

ومن الطباق قوله[١٣٨]:

والبشير النذير يثقل خطوي وقناتي به تزيد انحناء

وقوله[١٣٩]:

عرفت الليل منذ عرفت ربي ففي زحف النهار يسوء حالي

وقوله[١٤٠]:

وكم نظرة في الشعر للقبر أيقظت وكم نظرة للزهر أغفت عن القبر

وغني عن البيان أن الطباق آكد للمعاني والأفكار، فالضد يظهر حسنه الضد كما يقول أرباب الفصاحة.

ومنها استخدامه الأساليب الإنشائية للتعبير عن معانيه وأفكاره ببراعة واقتدار، ولاسيما النداء، والأمر، والنهي، والاستفهام.

ومن النداء قوله[١٤١]:

يا أخي المسلم كنا خير أمه يوم كنا في التئام الشمل قمه

وقد اجتمع النداء والأمر في قوله[١٤٢]:

يا أخي المسلم التزم أخلاقا تحفظ المجد وافرًا دفاقا

وقوله[١٤٣]:

أخي المسلم استيقظ وعش ساهدٍ حريصٍ على كسب السلامة راشد

ومن الأمر قوله[١٤٤]:

فامش في الأرض الهوينى واتخذ ملبس التقوى شعارًا مؤمنا

واجعل القبلة أعلى وجهةٍ في فسيح الأرض نشرًا للسنى

ومن النهي قوله[١٤٥]:

لا تكاثر لا تفاخر لاهيًا كم ترى مثلك قد زار القبور

ومن الاستفهام قوله[١٤٦]:

هل أنت يا أنت دار بالأولى خربت ديار أمجادهم أو جاءك الخبر؟

هل أنت يا أنت مهما تجر لاحقهم فما استطالوا به في الأرض إذ

والأساليب الإنشائية تتناسب مع الشعر الذي يقصد به التأثير في المتلقين، وقد كان شاعرنا يهتم بالمتلقي اهتمامًا كبيرًا كما مر.

ومنها تأثره بتراكيب القرآن الكريم، ومن ذلك قوله[١٤٧]:

ولا تكن باخعًا بالحزن نفسًا بها من سكرة اللاهين قرح

وهو مأخوذ من قول الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم: (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) [١٤٨].

وقوله[١٤٩]:

ومن تجافي جنوب عن مضاجعهم في هدأة الليل خوفا دون إعلان

فليس تعلم نفس ما أكنُّ لهم من قرة العين في جنات رضوان

فالبيتان مقتبسان من قوله تعالى: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون. فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون) [١٥٠].

وقوله[١٥١]:

وعنت وجوه الحق للحي الذي قهر العباد بذلك الحرمان

وقوله[١٥٢]:

يوم تعنو الوجوه للحق رهبا وتذوب القلوب مما تعاني

وكلاهما مأخوذ من قول الله عز وجل: (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلمًا) [١٥٣].

وكان –أحيانًا – يقتبس عبارات بنصها من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله[١٥٤]:

"أنا خير منه " كانت محنة أنزلت إبليس مدحورا كفورا

وقوله[١٥٥]:

"فبما أغويتني "حطت به في عذاب الله بئس المستقر

وقوله[١٥٦]:

في الكتاب العزيز "ما قدروا الله" ولكن رزقتهم إملاء

وقوله[١٥٧]:

"إن قارون كان من قوم موسى" خصَّه الله بالكنوز الغوالي

وقوله[١٥٨]:

"ونحن قسمنا" حددت رزق لاهث ورزق وديع الخطو من سالف الدهر

ومنها تأثره بتراكيب الحديث النبوي الشريف، ومن ذلك قوله[١٥٩]:

إن شكاعضوٌ تداعى كل عضوٍ ساهر منه بآلام تعني

وقوله[١٦٠]:

نحن جسمٌ إذا اشتكى منه عضوٌ يتداعى له الجميع بكيًّا

وكلاهما مقتبس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"[١٦١].

وقوله[١٦٢]:

تذهب الطير في الصباح خماصًا وبطانًا تعود عند المساء

وقوله[١٦٣]:

إننا نغدو في الصباح خماصًا ونعود المساء بالبطن شبعا

وقوله[١٦٤]:

وما غرست طيور الأرض حقلًا وقد ساوى البغاث بها العقاب

تروح إلى مساكنها بطانًا وليس لها عن الرزق احتجاب

النماذج الثلاثة مأخوذة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتعود بطانا "[١٦٥].

ومنها أنه كان يضمن شعره بعض الشعر القديم، ومن ذلك قوله[١٦٦]:

ما "شبيه صوت النعي إذا قيـ ـس بصوت البشير في كل نادي"

فقد ضمن البيت قول أبي العلاء المعري[١٦٧]:

وشبيهٌ صوت النعي إذا قيـ ـس بصوت البشير في كل نادي

مع استبدال ما بالواو، وفي البيت تورية رائعة.

ومنها توظيف التراث، واستدعاء الشخصيات التراثية، على نحو ما نجد في قوله عن اليهود[١٦٨]:

ظنوا وخابوا فما الفاروق باعثهم براية الفتح إذ صاروا مغذينا

كلا ولا ابن الوليد اجتاز في لجبٍ بخيله عن سنى الدنيا يوارينا

ولن يعود صلاح الدين يردعنا أو يرجع الدهر يومًا يوم حطينا

والشاعر أزهري حافظ لكتاب الله عز وجل منذ نعومة أظفاره، لغوي انطبعت علوم العربية في عقله وقلبه؛ ولهذا جاءت تراكيبه تنساب في سهولة ويسر بلا تعقيد أو إكراه، مدعومة بالمقومات الفنية التي تدل على موهبته وتمكنه اللغوي، كما أنه أجاد توظيف الكيانات اللغوية كالاسم والفعل، كل في موضعه المناسب للسياق، وأحسن استعمال الفعل بأنواعه: الماضي والمضارع والأمر، كل في مكانه اللائق، كما أنه متمكن من استعماله للخبر والإنشاء، والتقديم والتأخير، والمحسنات البديعية، ببراعة واقتدار.

الصورة:

علاقة الشاعر بالتصوير معروفة كما يبدو من قول أحد زملائه[١٦٩]: " كان يذهب إلى رجل يهودي ليعطيه بقايا أفلام السينما الخام رخيصة الثمن؛ حتى يستطيع ممارسة هوايته في التصوير من غير إرهاق ولا تكلفة"، أما هو فيعلل هجره الشعر فترة من حياته بقوله[١٧٠]: "لقد حاولت درء فن بفن، وكنت أطرز الخيط على القماش مرة ، وأزاول التصوير الفوتوغرافي تصويرًا وتحميضًا وطبعًا وتكبيرًا وتلوينًا أخرى؛ لأنسي الشعر فلا أصبو إليه"، والمتأمل في قوله، وقول زميله يجد أنه شغل بالتطريز، والتصوير الفوتوغرافي، وكلاهما وثيق الصلة بالتصوير الشعري.

ولكن.. هل أثر الاتجاه الإسلامي بالسلب في تكوين الصورة؟

لم يقف الاتجاه الإسلامي وقيمه ومثله العليا حائلًا من التصوير الشعري الرائع، بل على النقيض تمامًا، فشمول المبادئ الإسلامية وتنوعها أعطياه مساحة كبرى للإبداع في تصويره .

وتمثلت مصادر صوره في القرآن الكريم، والحديث الشريف، والتاريخ العربي والإسلامي، والتراث الأدبي شعرًا ونثرًا ، والكون الفسيح الممتد، وحياة الشاعر، وواقعه، وأسفاره المتعددة، وثقافته العميقة، وحسه. وعود إلى مضامينه يؤكد ذلك بغير شك.

تمثل الصورة عصب العمل الفني ودورا مهما في بناء الشعر ، فالشعر بدون صورة ليس شعرا لأن الشعر نفسه تصوير أو رسم بالكلمات ولهذا حين يخلو الشعر من الصورة نحس بالنقص **فيه** ويتحول إلي كلام عادي لا يرقي إلى مستوى الشعر ، ولقد تحدث كثير من النقاد قديما وحديثا عن الصورة الشعرية ، ولكن الذي يعنينا دور الصورة في النص الشعري للشاعر "كيلاني سند" ، وهل

أدت الصورة دورا بارزا فاعلا في القصيدة الشعرية أم أنها كانت من باب التجميل والتزيين فحسب؟ مع الأخذ في الاعتبار أن الصورة الشعرية الجيدة هي التي تعمل على (نقل تجربة حسيةأو حالة عاطفية من الشاعر إلى المتلقي في شكل فني تتخذه الألفاظ أو العبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياقئ بياني ليعبرعن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة)(١٧١).

وأهم ما نلاحظه في صوره؛ ارتباطها بذاته، وتعبيرها عن حالته النفسية، وعنايته بتشكيها على نحو يشهد له بالبراعة والاقتدار، ونجد ذلك جليًا في تلك الصورة التي أبدعتها براعته لمنظر الشروق، إذ قال(١٧٢):

صحبت الفجر أركبه لحسن بت أرقبه
لألقى والنسيم رقيٌ حبيبًا عاد موكبه
بها يحمل الأعلا م شدو الطير يصحبه

وعلاقته بالشروق قديمة وحميمة.

وكم غنى له قلبي نشيد الحب يطربه
وقد ألقى السنا والتبـ ـر ذيلًا عاش يسحبه
على دنيا غدت ذهبًا عيون الشعر تنهبه
كطاووس بهي الريـ ـــــش في زهو يقلبه

وفي هذه الصورة نلحظ أن الشاعر أحد مكوناتها، وتشهد بذلك ضمائر المتكلم في الكلمات: " صحبت، أركبه، أرقبه، قلبي، فهو لا يلتقط الصورة من بعد، وإنما يحتل مكانًا بارزًا فيها، بل هو محورها الأساس.

عني بتشكيل صوره، ووفر لها من المقومات ما جعلها تعجب وتروق، وواضح هذا أيضًا – في قوله(١٧٣):

ورب الضرتين على شقاء يبيت الليل ترهقه الصعاب

وقوله:

فسرح عنك بالمعروف من لا بقاء لها وموعدها كذاب
ولاتك في النزوع إلى هواها غرير القلب يصبية السراب
فكم أسهدت تحت النجم جفنًا وقد برقت لتفتنك الرغاب

وقوله:

وكم خليت محرابًا لحرب بها سبقت لمهجتك الحراب
فما عاجت عليك بغير وعد وراء الوعد يكنفه الضباب

وازن الشاعر بين الدنيا والآخرة، وفضل الثانية على الأولى، مستخدمًا طائفة من الصور البيانية، منها التشبيه في البيت الأول، إذ شبه توزع القلب بين الدنيا والآخرة بزوج الاثنتين، والاستعارات المعبرة: "ترهقه الصعاب"، "موعدها كذاب"، "يصبيه السراب"، "برقت لتفتنك الرغاب"، وقد عمد فيها جميعًا إلى التشخيص لتأكيد معانيه، وتقريب أفكاره للعقول، ومنها الكناية في قوله "أسهدت تحت النجم جفنًا"، وهي التي دلت على حيرته الشديدة والصراع الذي يعتمل في نفسه بين الدنيا والآخرة، ولم تخل الصورة من استثمار طاقات اللغة وإمكاناتها، ولاسيما في الجناس الرائع المتمثل في قوله "وكم خليت محراب الحرب... البيت".

وعلى نحو ما رأينا أن الاستعارات تنتشر بصورة لافتة، فهو أكثر استخدامًا لها من التشبيه، وعمد فيها إلى التجسيم والتشخيص؛ فقد شخص الكون، وجعله يتنفس ملء الصدر، كما في قوله(١٧٤):

تنفس الكون ملء الصدر منتعشًا أنفاس حي قضاء الله أحياه

وشخص الآمال، وجعلها تغازله في قوله عن نفسه(١٧٥):

تغازلها الآمال وهي أبية عزوفٌ على فقر يقود إلى نصر

واستعار حلة السندم للنبات، وجعل للحياة قلبًا، كما في قوله[١٧٦]:

كسوت الرمال الصفر حلة سندس تفيض على قلب الحبيب بطيب

ولا يخفى ما في هذه الاستعارات من دقة وجمال؛ فهي تجسم الأشياء، وتشخصها، وتحيلها أناسي، وتعيد تشكيل الأشياء، لكنه يبقي على علاقة المشابهة بين الطرفين.

أما تشبيهاته فكان منها المتداول المشهور الذي استمده من التراث الشعري قبله، ومنها ما يكاد يغلب عليه الابتداع والابتكار، فمن الأول قوله[١٧٧]:

يا حسان الوجوه كالزهر غضا كنًّا يدفن فى رمال البيد

ويح قلبي لكن من قلب وحش كان كالصخر في الجمود الشديد

وفي البيت الأول يشبه الأطفال الموءودات في الجاهلية بالزهر الغض، وشبه– في البيت الثاني – قلب من يقوم بالوأد بالصخر، وذلك مستمد من قول الله عز وجل: (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) [١٧٨].

ومنه قوله للرسول صلى الله عليه وسلم[١٧٩]:

أنت فيه الوحيد كالشمس جنسٌ خصَّه الله بالمثال الفريد

وقوله عنه صلوات ربي وتسليماته عليه[١٨٠]:

أغر أيمن كالبشرى تطالعهم من ثغرك الحكمة العصماء تشتار

وقوله[١٨١]:

لمن شباب قريش كاللظى ثاروا؟ ومن علي داره في الليل قد داروا؟

وقوله عن المشركين[١٨٢]:

عجبت له والحق كالشمس باهر وما ظفروا من غيثه بسكوب

وهو يفيد من صور القرآن الكريم على نحو ما نجد في قوله[١٨٣]:

وشد بتقواك سدًا حول نفسك لا يعلى وإن نلت في إعلائه تعبا

كسد يأجوج يغشاهم فما قدروا أن يظهروه وما اسطاعوا له طلبا

ولا نعدم خيالًا للشاعر في القصص الذي استمده من الكتاب الكريم مع التزامه بالصدق والحقائق الإيمانية، فعندما أراد أن يصور خزائن قارون قال[١٨٤]:

من يواقيت تبهر العين حسنًا ولجينٍ وعسجدٍ ولآل

وعندما أراد أن يصف خروجه على قومه في زينته، قال[١٨٥]:

مر قارون تائهًا كعروسٍ في زفافٍ قد أفرطت في الجمال

وهو يكرر بعض صوره التشبيهية، كصورته التي يشبه فيها الأشياء المهملة بالصور على شمال العدد، ومن ذلك قوله[١٨٦]:

ما بال فكك دون الناب يا أسد ما بال كفك عنها الظفر ينفرد
وأنت دونهما صفرٌ بلا عددٍ والصفر لا شيء إن لم يعله العدد

وقوله[١٨٧]:

لستُ لا شيء لست صفر شمال لست سقط المتاع لست فَرِيّا

وقوله[١٨٨]:

كم ضحايا حول رمسي عبرت غرها بالحق طول الأمد
أغريت لي صامتًا تفزعني وهي صفرٌ في شمال العدد

وقوله[١٨٩]:

ليس مثل الذي يعيش كصفر مغفل في شمائل الأعداد

وتكراره لهذه التشبيهات دال على امتلائه بها واعتداده بذاته، وإنكاره على من هم دونه من الأدعياء الذين لا يساوون شيئًا، ومع ذلك يتكبرون، ويعيثون في الأرض فسادًا.

ومن هذا نستنتج أن عز الدين كان أحد الذين لم تخرج أشعارهم عن روح الإسلام عقيدة وسلوكًا وقرآنا وسنة، وفي الوقت نفسه حوت من القيم الفنية ما يشهد لهم بالتفوق والإبداع.

الخاتمة

وفي نهاية البحث في شعر عز الدين علي السيد؛ يجدر بنا أن نلم بأهم معالم الدراسة ونتائجها، وهي:

- اشتركت مجموعة من العوامل في تكوين هذا الاتجاه عند عز الدين على السيد، منها: نشأته الدينية العلمية، وحفظة القرآن الكريم، ودراسته بالأزهر، وعمله بالتدريس.

- كان "عز الدين" على وعي وثقافة واضحة بكنه المبادئ الإسلامية وركائز الاتجاه الملتزم وماهية الأدب الإسلامي، ودوره في بناء الفرد والمجتمع وعودة مجد الأمة.

- تعددت مجالات الابتهال في شعره، وتنوعت تنوعًا عظيمًا، فشملت الموضوعات الدينية والدنيوية، ولم يخرج في أي منها عن التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، وكان في كل منها مفكرًا عميق التفكير، حريصًا على أن تصل رؤيته إلى متلقيه.

- عبر عن كل هذه المجالات تعبيرًا فنيًا رائعًا في عناصر الشعر المختلفة من تجربة وعاطفة ولغة وتصوير وبناء؛ أي أنه في تعبيره عن اتجاهه، لم يبخس حق الفن.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وما كان من خطأ في هذا البحث فمني ومن الشيطان، وما كان من صواب، فمن الله الكريم المنان، (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) صدق الله العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

الهوامش

(١) ديوان الدكتور عز الدين على السيد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، وسوف أكتفي بعد ذلك بكلمة "الديوان" عند النسبة إليه.
(٢) عز الدين على السيد، حياته وأدبه، هدى عبد المنعم عبد الرحمن هاشم، المكتبة المركزية بجامعة الأزهر، تحت رقم (١٤٦٦).
(٣) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤١٤ه، فصل الغين المعجمة، ج(٣)، ص٣٢٥، ٣٢٦.
(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. دار الدعوة، باب الغين، ج(٢)، ص٦٤٨.
(٥) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤١٤ه، فصل الباء الموحدة، ج(١١)، ص٧١، ٧٢.
(٦) منهج الفن الإسلامي، ط دار القلم، ص٦.
(٧) نحو مذهب إسلامي في الأدب و النقد، دار الأدب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ه/ ١٩٩٨، ص ١١٣.
(٨) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ص٦٩.
(٩) مجلة البعث الإسلامي، العددان (١-٢)، رمضان وشوال ١٤٠١ه الموافق يوليو أغسطس ١٩٨١م، ص٦٨، عدد ممتاز عن الندوة العالمية للأدب الإسلامي.
(١٠) الأدب الإسلامي، إنسانيته و عالميته، د. عدنان النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ه/ ١٩٨٧م، ص ٧٩ – ٧٧.
(١١) ينظر: الأدب الإسلامي أصوله وسماته، د. محمد حسن بريغش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ه- ١٩٨٧م، ص٧٧ – ٧٩.
(١٢) ينظر: مدخل إلى الأدب الإسلامي، دار ابن حزم، الطبعة الثانية، ١٤١٣ه /١٩٩٢م، ص ٣٦.
(١٣) الالتزام الإسلامي في الشعر، ناصر الخنين، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ه/٢٠٠٤م، ص ١٩٨.
(١٤) عز الدين علي السيد، حياته وأدبه، هدى عبد المنعم عبد الرحمن هاشم، المكتبة المركزية بجامعة الأزهر، تحت رقم (١٤٦٦).
(١٥) ديوان الدكتور عز الدين علي السيد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، وسوف أكتفي بعد ذلك بكلمة "الديوان" عن النسبة إليه.
(١٦) ابن منظور لسان العرب، الناشر: دار صادر-بيروت الطبعة الثالثة، ١٤١٤ه. فصل الجيم، مادة: جلا، ج١٤، ص١٥٠ وما بعدها.
(١٧) القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ه – ٢٠٠٥م. مادة: جلا، ص١٢٧١.
(١٨) محمد بن محمد بن عبد الرزَّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية. مادة: جلي، ج٣٧، ص٣٧٢.
(١٩) الديوان ص ١٤.
(٢٠) الديوان ص٢٦.
(٢١) الديوان ص ٤٩٥.

(٢٢) الديوان ص ٣٤٩.
(٢٣) الديوان ص ٣٩ – ٤٠.
(٢٤) الديوان ص٤٨٢ – ٤٨٣.
(٢٥) الديوان ص ١٢٩.
(٢٦) الديوان ص٢٩٨.
(٢٧) الديوان ص ٢٥٢.
(٢٨) الديوان ص ٣٤٠،وانظر – أيضا. ص ٢٤٧،٣٣٨.
(٢٩) الديوان ص ١٢٤.
(٣٠) الديوان ص ١٣٣.
(٣١) انظر الديوان ص ٦١، ١٠٨، ١٢٧، ١٥٦.
(٣٢) الديوان ص ٢٤٩.
(٣٣) الديوان ص٢٩٩.
(٣٤) الديوان ص٣٤٠.
(٣٥) الديوان ص٦٦، وانظر أيضًا ص٣٠٧.
(٣٦) الديوان ص٢٩٥.
(٣٧) الديوان، ص١٥٤.
(٣٨) الديوان ص٢٥٣.
(٣٩) الديوان ص١٤١.
(٤٠) الديوان ص١٧٤. والضمير في حدثني يعود على (نجوم السماء).
(٤١) الديوان ص ١٦٦.
(٤٢) الديوان ص١٤١.
(٤٣) الأدب الإسلامي، بين النظرية والتطبيق، محمد قطب، دراسات في الأدب الإسلامي من محاضرات نادي المدينة المنورة الأدبي، المجلد الخامس، الطبعة الأولى ١٤٢٦ه/١٩٩٥م، ص ٢١.
(٤٤) الديوان ص٣٢٩.
(٤٥) الديوان ص٨٨.
(٤٦) الديوان ص٣٢٨، ٤٧، ٣٣٠، ١٧، ٨١، ٣٩١، ٣٣٣، ١٤٢،٣٥٣، ٣٤٨ .
(٤٧) الديوان ص١٨.
(٤٨) سبأ ١٥-١٧.
(٤٩) الديوان ص٥٧.
(٥٠) الديوان ص١١١.

(٥١) الديوان ص٧٩.
(٥٢) الديوان، ص٥١.
(٥٣) الديوان، ص٣٣.
(٥٤) الديوان، ص٤٨١.
(٥٥) الحديد: ٢٣.
(٥٦) الديوان، ص٥٤.
(٥٧) الديوان، ص١٣١.
(٥٨) الديوان، ص٦٨.
(٥٩) الديوان، ص٢٧- ٢٨.
(٦٠) الديوان، ص١٠٧.
(٦١) الديوان، ص٣٥٠.
(٦٢) الديوان، ص١٤٣.
(٦٣) الديوان، ص٨٨.
(٦٤) الديوان، ص١٠٠- ١٠١.
(٦٥) الديوان، ص٣٤٨.
(٦٦) الديوان، ص١١٤.
(٦٧) الديوان، ص٣٣٥.
(٦٨) الديوان، ص٣٣٥.
(٦٩) الديوان ص٨.
(٧٠) الديوان ص ٤٢٩.
(٧١) الديوان الصفحة نفسها.
(٧٢) الديوان ص٧٥، ٧٦.
(٧٣) الديوان ص٢٣٨.
(٧٤) الديوان ص٢١٤.
(٧٥) الديوان ص١٤٥.
(٧٦) الديوان ص٢٣٧.
(٧٧) الديوان ص ٢١٧.
(٧٨) الديوان ص ٢٢٨.
(٧٩) الديوان ص ١٩٠.
(٨٠) الديوان ص٢١٤.
(٨١) الديوان ص١٨٩.
(٨٢) الديوان ص٣٥١.
(٨٣) الديوان ص١٢٧.
(٨٤) الديوان ص٨٢.
(٨٥) القلم: ١٧- ٢٠.
(٨٦) الديوان ص٧٨، والضمير يردى يعود على والد أصحاب الجنة.

(٨٧) الديوان ص٢٤٧.
(٨٨) الديوان ص١٥٦.
(٨٩) الديوان ص٢٨.
(٩٠) الديوان ص٣٢٩.
(٩١) الديوان ص٥٦.
(٩٢) الديوان ص٣١٩.
(٩٣) الديوان ص٣٥٨.
(٩٤) الديوان ص٣٣٣.
(٩٥) الديوان ص٧٩، ٣٣٨، ١١٧، ٣٣٠، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٣٦، ٣٤٦، ٣٥٦.
(٩٦) الديوان ص٤٠٠.
(٩٧) الديوان ص٢٥٤.
(٩٨) الديوان ص١٧٢.
(٩٩) الديوان ص٧١.
(١٠٠) الديوان ص٢٧٤.
(١٠١) الديوان ص٢٧٤.
(١٠٢) الديوان ص٢٥٦.
(١٠٣) الديوان ص٢٨٣.
(١٠٤) الديوان ص٢٧٧.
(١٠٥) الديوان ص٢٨١.
(١٠٦) الديوان ص٢٥٤.
(١٠٧) الديوان ص٤١١ - ٤١٢.
(١٠٨) الديوان ص٤٩١ - ٤٩٢.
(١٠٩) الديوان، ص٤٢٠.
(١١٠) الديوان، ص٣٢٨.
(١١١) الديوان، ص٣٤٨.
(١١٢) عز الدين علي السيد، حياته وأدبه، ص١٤، عن أوراقه ص١.
(١١٣) السابق ص١٧، عن أوراقه ص٤.
(١١٤) السابق ص٣٣، عن أوراقه ص٤.
(١١٥) الديوان، ص٢٥٢.
(١١٦) الديوان، ص٢٠٠.
(١١٧) الديوان، ص٤٤٦.
(١١٨) الديوان، ص٣٠٨.
(١١٩) الديوان، ص٤٤٩.
(١٢٠) الحج: ٧٣.
(١٢١) الديوان، ص٣٧١.
(١٢٢) الديوان، ص٣٤٢.
(١٢٣) رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري، باب النهي عن المنكر من الإيمان برقم (٧٠) ١/ ١٦٧، وأبو داوود باب الأمر والنهي برقم (٣٧٧٧) ١١/ ٤١٥.
(١٢٤) الديوان، ص١٢٦.

(١٢٥) رواه أحمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل برقم (٢١٦٣٩) ٦/ ٣٠٥، والترمذي في سننه، كتاب باب ما جاء في حرمة الصلاة برقم (٢٦٨٣)، وأبو داوود في سننه، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان برقم (٤٦٧٥) ١٢/ ٤٤٠.

(١٢٦) الديوان، ص٤٧٠.

(١٢٧) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر، برقم(٧٢٨٨) ١٨/ ٣٧، والإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة برقم (٩٢٨٢) ٣/ ١٤٣.

(١٢٨) الديوان، ص٣٣٠.

(١٢٩) الديوان، ص٤٢٠.

(١٣٠) الديوان، ص٢٨.

(١٣١) الديوان، ص٦٨.

(١٣٢) الديوان، ص٢٥٧.

(١٣٣) الديوان، ص٢٦٨.

(١٣٤) الديوان، ص٢٩٦.

(١٣٥) الديوان، ص٢٨.

(١٣٦) الديوان، ص٤٤٨.

(١٣٧) الديوان، ص٥٤.

(١٣٨) الديوان، ص١٣٥.

(١٣٩) الديوان، ص٩٩.

(١٤٠) الديوان، ص٣٣.

(١٤١) الديوان، ص٢٣٢.

(١٤٢) الديوان، ص٣٣٣.

(١٤٣) الديوان، ص٣٣٥.

(١٤٤) الديوان، ص٣٢٨.

(١٤٥) الديوان، ص٣٥٠.

(١٤٦) الديوان، ص٨٨.

(١٤٧) الديوان، ص٢٦١.

(١٤٨) الكهف: ٦.

(١٤٩) الديوان، ص٨٣.

(١٥٠) الديوان، ص١٦-١٧.

(١٥١) الديوان، ص٧٠.

(١٥٢) الديوان، ص٩٧.

(١٥٣) طه: ١١١.

(١٥٤) الديوان، ص٣٥٠.

(١٥٥) الديوان، ص٣٤٩.

(١٥٦) الديوان، ص١٣٥.

(١٥٧) الديوان، ص١٧.

(١٥٨) الديوان، ص١٧.

(١٥٩) الديوان، ص٣٢٧.

(١٦٠) الديوان، ص٣٣٣.

(١٦١) رواه مسلم، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم برقم (٤٦٨٥) ١٢/ ٤٦٨.
(١٦٢) الديوان، ص٣٤٨.
(١٦٣) الديوان، ص٣٧٥.
(١٦٤) الديوان، ص٤٤٩.
(١٦٥) رواه أحمد في مسنده من حديث عمر بن الخطاب، برقم (٢٠٥) ٥١/٢، والترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب التوكل على الله، برقم (٢٣٨٢)، وابن ماجة في سننه، كتاب التوكل، بلب التوكل واليقين، برقم (٤٢٥٤) ١٣٩٤/٢.
(١٦٦) الديوان، ص٤٧٠.
(١٦٧) سقط الزند وضوءه ص٣٩٠.
(١٦٨) الديوان، ص٢٦٥.
(١٦٩) عز الدين علي السيد، حياته وأدبه، ص١٨، عن صديقه د. نعمان محمد أمين طه.
(١٧٠) السابق، ص١٤.
١٧١ - محمد علي هدية: الصورة في شعر الديوانيين بيين النظرية والتطبيق - القاهرة، ١٩٨٤م، صـ٤٧
(١٧٢) الديوان، ص٥٠.
(١٧٣) الديوان، ص٤٤٨.
(١٧٤) الديوان، ص١٥٣.
(١٧٥) الديوان، ص٦٧.
(١٧٦) الديوان، ص١٦٧.
(١٧٧) الديوان، ص١٤٧.
(١٧٨) البقرة: ٧٤.
(١٧٩) الديوان، ص١٤٩.
(١٨٠) الديوان، ص١٦١.
(١٨١) الديوان، ص١٦١.
(١٨٢) الديوان، ص١٦٩.
(١٨٣) الديوان، ص٨٠.
(١٨٤) الديوان، ص١٧.
(١٨٥) الديوان، ص١٨.
(١٨٦) الديوان، ص٢٨٩.
(١٨٧) الديوان، ص٣٥٢.
(١٨٨) الديوان، ص٤٣٩.
(١٨٩) الديوان، ص٤٦٩.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. عبد الباسط بدر، مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، دار البشير، جدة، ١٩٨٥ م.
٢. عبد الرحمن رأفت الباشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار الأدب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ه/ ١٩٩٨.
٣. عدنان النحوي، الأدب الإسلامي، إنسانيته وعالميته، دار النحوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ه/ ١٩٨٧م.
٤. عز الدين علي السيد، ديوانه، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ه/ ١٩٨٩م.
٥. أبو العلاء المعري، سقط الزند وضوءه، تحقيق وتقديم: د. السيد عبادة، معهد المخطوطات العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م.
٦. عماد الدين خليل، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة.
٧. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بروت-لبنان.
٨. مجلة البعث الإسلامي، العددان (١- ٢)، رمضان وشوال ١٤٠١ه الموافق يوليو أغسطس ١٩٨١م، عدد ممتاز عن الندوة العالمية للأدب الإسلامي.
٩. محمد حسن بريغش، الأدب الإسلامي، أصوله وسماته، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثالثة، ١٤١٧ه/ ١٩٩٦م.
١٠. محمد صالح الشنطي، في الأدب الإسلامي، قضاياه وفنونه ونماذج منه، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٨ه - ١٩٩٧م.
١١. محمد قطب، الأدب الإسلامي، بين النظرية والتطبيق، دراسات في الأدب الإسلامي من محاضرات نادي المدينة المنورة الأدبي، المجلد الخامس، الطبعة الأولى ١٤٢٦ه/١٩٩٥م.
١٢. محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ط دار القلم.
١٣. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.

١٤. مرزوق بن تنباك، مصطلح الأدب الإسلامي، الدارة، الرياض، المملكة العربية السعودية، العدد الثالث، السنة الثامنة عشرة، ربيع الآخر - جمادى الأولى - جمادى الثانية–١٤٢٣ه.
١٥. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.
١٦. ناصر الخنين، الالتزام الإسلامي في الشعر، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ه/٢٠٠٤م.
١٧. نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، دار ابن حزم الطبعة الثانية، ١٤١٣ه/١٩٩٢م.
١٨. هدى عبد المنعم عبد الرحمن هاشم، عز الدين علي السيد، حياته وأدبه، المكتبة المركزية بجامعة الأزهر، تحت رقم (١٤٦٦).

Abstract

Prayer is one of the pillars of Islamic literature, and it is called a group of poetic and prose texts that stem from the Islamic conception of the universe, life and man, and these texts are found among some poets according to the orientation and belief of each poet in his life.

Few are those whose poems did not deviate from the spirit of Islam, a doctrine and behavior, the Qur'an and Sunnah, and at the same time they contained artistic values that testify to them of superiority and creativity.

The choice of Ezz al-Din's poetry over al-Sayed was the subject of this research for several reasons, including: the abundance of his poetic output, the availability of artistic values in his poetry, including: the emergence of Islam in his poetry as a main subject in a remarkable way, and his poetry did not derive from the study what was made available to those who are less than him Status, including: the researcher's passion for his poetry, his admiration for his direction, and his appreciation for the role he can play, especially in the current stage of the nation's history.

As for choosing "invocation" without "Sufism," "spiritual direction," or "Islamic trend," or "Islam in its poetry," or the like: because each of them is imprecise in describing his creativity.

As for the invocation, it is more general and comprehensive because it is an echo of Sufism, and it is one of the manifestations of the spiritual trend, which is one of the most important pillars of the Islamic trend or Islamic literature.

The research attempted to gain familiarity with the concept of invocation, its nature and its relationship to the term Islamic literature and the fields of invocation in his poetry and its characteristics, as well as to how author expresses its ideas through invocation. The research also emphasized the containment of the invocations of artistic values that testify to him of excellence and creativity.

Then, after this introduction, the research took place in an introduction, two papers, and a conclusion.

The introduction, and it was about the concept of invocation, the term Islamic literature, the function of literature, ethics, and freedom of the writer.

The first topic: the domains of invocation in his poetry.

The second topic: technical characteristics and features.

Conclusion: The most important findings of the research were presented in it.

And I created an analytical method in it; In his view of poetic texts in the light of the Islamic conception of the meanings and ideas they contained, and in his attempt to probe the depths of the texts, conceal their secrets, and derive their objective and artistic characteristics; That is, it benefits from the values of Islam, and the beauty of art at the same time.